قانون البلاغة

في نقد النثر والشعر

تأليف

الشاعر الأديب أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي

المتوفى سنة ٥١٧ هـ

تحقيق

الدكتور محسن غياض عجيل

مؤسسة الرسالة

قانون البلاغة

في نقد النثر والشعر

تأليف

الشاعر الأديب أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي

المتوفى سنة ٥١٧ هـ

تحقيق

الدكتور محسن غياض عجيل

الأستاذ في جامعة بغداد

وجامعة الإمارات العربية المتحدة

مؤسسة الرسالة

مُقَـدِّمة المحَـقِّق

الحمد لله الذي شرف الإنسان فعلمه البيان واختصه به، وشرف العرب فأنزل كتابه العظيم بلغتها وعلى أساليبها، فخلدها بذلك على الدهر، وكتب لها البقاء والنماء، وصانها من الضياع، وحببها إلى القلوب والنفوس، وسخر لخدمتها والعناية بها مَنْ شرفهم بحملها من الأدباء والعلماء، جيلاً بعد جيل.

والصلاة والسلام على سيد الفصحاء وإمام البلغاء سيدنا الرسول الأعظم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ، فهذا كتاب نفيس قيم من الكتب المؤلفة في خدمة العربية ودراسة أساليبها وبلاغة شعرها ونثرها والكشف عن وجوه الجمال والتأنق والزخرف في آثار النابهين من أبنائها، شعراً ونثراً. وقد كشف المؤلف عن هذا كله بأسلوب أدبي جميل وعبارة رشيقة أنيقة مع حسٍّ نقدي مرهف، وذوق رفيع في أحكامه واختيار شواهده، وما ذاك إلّا لكونه أديباً شاعراً، من أهل هذه الصناعة، العارفين بأسرارها وأساليبها.

المؤلف:

وهو ، فيما ذكره العماد الأصبهاني، الشاعر الأديب محمد بن

حيدر بن عبد الله بن شعيبان البغدادي (كان شاعراً بليغاً مجيداً، حسن الشعر رقيقه، يسكن سوق الثلاثاء، أعور، وكان من مادحي سيف الدولة صدقة بن منصور) وقد توفي سنة ٥١٧ هـ.

وهذا كل ما نعرفه عن سيرته التي ذكرت مبتسرة موجزة مذيلة بنماذج من أشعاره في معظم المصادر التي ترجمت له[١].

وقد كتب عنه شيخنا الأستاذ محمد بهجة الأثري دراسة قيمة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق[٢] نبه فيها إلى خطأ ما ذكره ابن تغري بردي من جعل وفاة الشاعر سنة ٥٦١ هـ. ورجح أن انصراف شاعرنا لمديح أمراء الحلة المزيديين إنما كان بسبب إعراض ولاة بغداد عنه وعدم حظوته عندهم. ثم عرض لنماذج من أشعاره في موضوعات مختلفة محللاً ناقداً مستشهداً بما ذكره العماد والصفدي من ثناء على شعر الرجل وشاعريته. ويبدو أن الشعر كان أبرز صفاته، وبه شهر وعُرف. وله فيه مقطعات حسان في المديح والغزل والحكمة والرثاء، ومن ذلك ما قاله في رثاء نفسه وهو على فراش الموت:

خليليَّ هذا آخر العهد منكما
ومنّي، فهل من موعدٍ نستجدُّه

(١) انظر في ترجمته: خريدة القصر للعماد الأصبهاني (القسم العراقي) ٢ / ٢١٩ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥ / ٣٧٢، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢ / ٣٩٨ والوافي بالوفيات للصفدي ٣ / ٣٢، والمحمدون من الشعراء للقفطي ١٩٥، والأعلام للزركلي ٦ / ٣٤٤، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ٥ / ٣٥، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الملحق) ١ / ٩٤٢.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. المجلد الأربعون، الجزء الرابع أكتوبر ١٩٦٥.

لأنَّ أخـاكـم حـلَّ فـي دار غـربـةٍ
يطول بها عن هـذه الدار عهدُه

فـلا تـعجبـوا إذ خـفَّ لـلبـيـن رحـله
وقـد جدَّ في إثـر الأحبـة جدّه

عـلى أنَّ فـي الـداريـن تـلك وهـذه
لـه صـاحب يهـوى وإلف يودُّه

وقـد أزمـع المسكيـن منكم تـرحلاً
فهـل فيكم مـن صـادق يستردّه

وقد اختتم الأستاذ الأثري دراسته القيمة لشعر الشاعر بقوله: (وهذه القلة المروية من شعر أبي طاهر، ورُبَّ قليلٍ كثير، ترينا شاعراً مفتناً ومتمكناً غاية التمكن في مذاهب الشعر وتنويع أغراضه وصياغته في مختلف المقاصد على نحو رائع رائق، تجري فيه السلاسة والرشاقة والإبداع مجرى الأرواح في الأبدان، أمدَّه الطبع والثقافة وامتلاك ناصية اللغة والبيان فزخر شعره بالفكرة والأسلوب والفن والإيقاع)[١].

هـذا الكتـاب:

غلب الشعر على أبي طاهر وبه عُرف. وعلى هذا ذكـرته المصادر التي ترجمت له، فاحتفلت بنماذج شعره والثناء عليه،

---

(١) المصدر السابق.

ولكنها لم تشر إلى كتابه هذا، أو إلى أي جهدٍ له يتصل بالكتابة والتأليف، حتي خفي أمره على العلماء والدارسين لهذا الفن قديماً وحديثاً، فلم نجد له ذكراً في كتب البلاغة ومؤلفيها، فلم يشر إليه ابن الأثير مع من ذكرهم من علماء البلاغة، وكذلك فعل الباحثون المحدثون. فقد استعرض أستاذنا الجليل الدكتور شوقي ضيف أسماء علماء البلاغة وجهودهم العلمية في كتابه عن تاريخ البلاغة وتطورها، ولكنه أغفل ذكر أبي طاهر وكتابه هذا. ولم يشر إليه من علماء هذا القرن إلاَّ بروكلمان، وخير الدين الزركلي، وعمر رضا كحالة، ولعل مردّ ذلك إلى خفاء أمر هذا الكتاب على الناس وعدم سماعهم بذكره. وكانت أول إشارة إليه فيما نشرته مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢١ من نبأ اكتشاف مخطوطة الكتاب في الخزانة الظاهرية بدمشق، فنوهت به وبكاتبه بقولها: (قانون البلاغة، وهو كتاب لطيف الحجم، عُثر عليه بين مخطوطات المكتبة الظاهرية لمؤلفه فخر الدين أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي، تاريخ كتابته سنة ٦٩٢ هـ [١]، وهو يحذو في بحثه عن بلاغة الكلام وفصاحته حذو إمام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وإذا طُبع ونُشر كان أخا الكتابين وثالث القمرين، وهو فوق ذلك إن لم يعلم البلاغة بقواعده علَّمها بأسلوبه وبلاغة كتابته) [٢].

---

(١) هذا وهم. وسنة كتابة المخطوطة الظاهرية هي ٦٠٤ هـ.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، الجزء الأول، المجلد الأول سنة ١٩٢١ ص ٣١٥.

وأود أن أترك الكلام قليلاً لأستاذنا الشيخ الأثري ليحدثنا عن هذه المرحلة من تاريخ الكتاب في صدر دراسته القيمة عن مؤلفه (قانون البلاغة، كتاب عنوانه يدلُّ على موضوعه، يُعزى تأليفه إلى أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي من شعراء العصر العباسي الوسيط، ويمتاز بجمال الأسلوب وبلاغة العبارة، وبعظم الفائدة وحسن الإمتاع مع صغر جِرْمه. وقد كان هذا الكتاب إلى نحو أربعين سنة خلت مجهول الرسم والاسم عند جمهرة الباحثين والدارسين للبلاغة العربية، فكشف عنه المجمع العلمي العربي وأتاح للناس الاطّلاع عليه والإفادة منه بنشره له في مجلته، وقد وجد نسخته الفذة النادرة نائمة في رفوف دار الكتب بدمشق، وعلى ظهرها اسم مؤلفه: فخر الدين أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي، فكانا غريبين عليه، وأراد تعرّف خبرهما، فنقب عن الكتاب في فهارس المكتبات الكبرى في الشرق والغرب عسى أن يظفر بنسخة ثانية تعزّز النسخة الدمشقية، فلم يقع فيها على ذكر له. ونقب عن المؤلف، الذي عُزي إليه الكتاب، في كتب التراجم والتاريخ، وأطال فيها تنقيبه، فلم يقع فيها على خبره كذلك.

وبعد هذا وذاك لجأ إلى الاستنباء عنهما من العلماء والأدباء، وأعلن ذلك في مجلته مراراً، فلم يَحْلَ من أحد بطائل، وعاوده الأمل في الظفر بخبر المؤلف إذا هو عاود التنقيب عنه كرة ثانية، وبعد لأي أُتيح له العثور على هذا الخبر في كتاب تركي، فرأى عجباً أن تهمل الكتب العربية أديباً وكاتباً بليغاً من أعلام العرب، ويذكره كتاب تركي. ولكن ترجمة أبي طاهر البغدادي في هذا

الكتاب التركي المسمّى (قاموس الأعلام) كانت مختصرة جداً، لا تبلُّ غليل ظمآن، فكلّ ما تضمنته اسمه ونسبته ووفاته وثلاثة أبيات من شعره، أما كتاب قانون البلاغة المعزو إليه في نسخة دار الكتب الدمشقية، فلم يذكر له في هذه الترجمة.

وعند آخر مطافه هذا، وقد قطع أمله في الظفر بالمزيد من أخبار المؤلف كما قطع أمله في الحصول على نسخة ثانية من الكتاب، بادر فنشر الكتاب مُنَجَّماً في أجزاء المجلد السابع من مجلته الزهراء هذه.

وها قد مضى على ذلك حَرْس من الدهر، ولم أرَ من نبس بحرف عن هذا الكتاب البليغ، ولا عن مؤلفه، وهو كما يبدو من قوة أسلوبه وبلاغة عبارته، من أعلام الكتاب الذين جرت الفصحى على أَسَلات أقلامهم أعذبَ ما تكون عذوبة وسلاسة وحلاوة)[1].

ولعلك رأيت معي شدة إعجاب شيخنا الأثري بالكتاب ومؤلفه وأحسست بما يحسه من ألم وغضب لجهل جمهرة الدارسين والباحثين بهذا الكتاب، وخفاء أمره عليهم، مع نفاسته العلمية وعظم فائدته، وجمال أسلوبه. وعلمت أن فضل اكتشافه يعود للمجمع العلمي العربي بدمشق، ولعلك أكبرت معنا تلك الجهود المضنية التي بذلها المجمع للعثور على نسخة ثانية للكتاب أو العثور على ترجمة لمؤلفه.

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد الأربعون الجزء الرابع، أكتوبر ١٩٦٥.

فلما أعجزه ذلك وأعياه نشر الكتاب مسلسلاً في مجلته[1] معتمداً على النسخة الوحيدة من مخطوطته التي عثر عليها في الظاهرية، مقدماً لذلك بترجمة مقتضبة للمؤلف اقتبسها من (قاموس الأعلام) لشمس الدين سامي، وهو كتاب باللغة التركية، كما أشار إلى ذلك أستاذنا الأثري. ولا ريب في أن المجمع الدمشقي أحسن صنعاً في ذلك كله، فنشر الكتاب عن نسخة واحدة، مع ما يعتوره من نقص، وما فيها من تصحيف وتحريف، خير من عدم نشره على الاطلاق، والتعريف بمؤلفه وإن كان بأسطر قليلة منتزعة من قاموس تركي للأعلام، خيرٌ من الجهل به والإعراض عنه.

وقد جاءت نشرة المجمع خلواً مما يوجبه التحقيق العلمي من توثيق النصوص، وتخريج الشواهد، والتعريف بالأعلام. ولعل هذا هو السبب في عدم الإشارة إلى اسم الناشر أو المحقق. ثم إن الأستاذ الرئيس العلامة المرحوم محمد كرد علي ضمَّ هذا الكتاب إلى النصوص التي نشرها في كتابه رسائل البلغاء، وأثبته على صورته التي نُشر عليها في مجلة المجمع من قبل من دون زيادة تذكر. ومع أنّه طيب الله ثراه قد أشار إلى ما حققه هو من تلك النصوص وما حققه سواه منها، إلاَّ أنه أغفل الإشارة إلى ناشر أو محقق كتابنا هذا في نشرة مجلة المجمع التي ضمّها إلى كتابه. وأنا أرجح أن الفضل يعود إليه في النشرة الأولى، ولو كان الناشر غيره لما بخسه حقه من الاشارة إليه، عندما جعل تلك النشرة ضمن كتابه رسائل البلغاء،

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد السابع سنة ١٩٢٧.

فقد كان الرجل أميناً، لا خلاف في علمه وأمانته العلمية، وقد أشار إلى أسماء محققي وناشري بعض النصوص التي ضمّها كتابه ذاك القيم. ولعله رحمه الله وجد في نفسه حرجاً أن ينسب لنفسه تلك النشرة لإحساسه بما يعتورها من نقص، بعد أن عجز عن العثور على نسخة أخرى للمخطوطة أو ترجمة قيمة للمؤلف.

ثم مرَّ على ذلك نصف قرن من الزمن أو يزيد، ووفقنا الله للعثور على مخطوطة أخرى للكتاب، نقلها المرحوم الشيخ الأديب محمد طاهر السماوي عن (نسخة قديمة سقيمة بالكرخ)، كما نُشرت وحُققت كتب كثيرة ترجمتْ للمؤلف وعَرفت به، فضلاً عما كتبه الشيخ الأثري من دراسته القيمة عنه. فكان ذلك كله مسوغاً مقنعاً للعمل على إعادة نشر الكتاب نشرة علمية محققة، تعتمد على المخطوطتين الشامية والبغدادية، مع التعريف بالمؤلف تعريفاً شافياً كافياً يخرج عن تلك الأسطر القليلة التي ذكرته في ذلك الكتاب التركي.

مخطوطات الكتاب:

وللكتاب كما أسلفنا مخطوطتان أولاهما المخطوطة الدمشقية، التي اعتمدها المجمع في نشرته، ورقمها في دار الكتب الظاهرية ٣٥٥٧، من مجموع عدد أوراقه ٢٦٩ ورقة، وهي نسخة تامة تقع في ١٠١ ورقة [٦٢ أ ق - ١٦٢ أ ق] كتبت بالسواد بخط نسخي قديم مقروء فيه بعض الشكل.

وقد ذكر عنوان الكتاب واسم مؤلفه على الورقة الأولى منه

(قانون البلاغة، ألفه الشيخ البليغ أبو طاهر فخر الدين محمد بن حيدر البغدادي) كما ذكرت عليها بعض تملكات، واحد منها باسم محمد بن أحمد بن أبي بكر التُّستري بتاريخ رمضان سنة **٨٢٣ هـ**، وآخر باسم إسماعيل بتاريخ **١٠٩٦ هـ**.

وختمت ورقته الأخيرة باسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه والناسخ هو عبد الله بن فضل بن أبي نعيم الذي فرغ من النسخ (أوائل شوال سنة ٦٠٤ هـ) في (مقام يوزاغج) ولم نهتد لمعرفة الناسخ ولا ندري أين مقام يوزاغج هذا إذ لم نجد له ذكراً في كتب البلدان[1].

والنسخة قديمة جداً، كما ترى، قريبة العهد بالمؤلف، فقد نسخت بعد وفاته بسبع وثمانين سنة.

وثانيتهما: المخطوطة البغدادية، التي وجدنا صورتها في مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد، وهي منقولة عن المخطوطة التي تحتفظ بها مكتبة الامام الحكيم العامة بالنجف الأشرف. وقد كتبها بخط جميل حسن المرحوم الشيخ محمد طاهر السماوي عن (نسخة سقيمة قديمة) بالكرخ ببغداد، في أوائل المحرم من سنة **١٣٥١ هـ**. ولم يشر الناسخ رحمه الله إلى تاريخ كتابة تلك النسخة القديمة السقيمة التي نقل عنها.

ومع أنني اعتبرت المخطوطتين، مخطوطة واحدة، يكمل بعضها نقص بعض، إلاَّ أن جلَّ اعتمادي كان على النسخة الظاهرية

---

(١) انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ٣٣٣.

لقدمها. ولم أغفل الإفادة من بعض حواشٍ وملاحظات جاءت على نشرة مجلة المجمع، مع الاشارة إلى ما في تلك النشرة أحياناً من نقص أو وهم أو تصرف. وقد رمزت للمخطوطة الظاهرية بحرف (ظ). ولمخطوطة السماوي بحرف (س) ولنشرة المجمع بالحرف (ن)، في حواشي الكتاب.

وقد حاولت، قدر جهدي ومبلغ علمي، أن أحرر النص في أكمل صورة مستطاعة، مع المقارنة بين النسختين، والإشارة إلى مواضع النقص والزيادة ومواضع الخلاف والتصحيف والتحريف، وقد حرصت على توثيق وتخريج المئات من الشواهد الشعـرية والنثرية التي حفل بها الكتاب، واعتذرت عمّا عجزت عن تخريجه، وهو قليل نادر، ولم أتوسع في تعريف الأعلام التي ورد ذكرها في الكتاب، لا سيما المشاهير منهم، وإنما اقتصرت على تعريف موجز لكل منهم.

كما حرصت على الاشارة إلى المصادر والكتب التي ذكرت كل موضوع من موضوعات الكتاب، إتماماً للفائدة وتيسيراً على من أراد التوسع والبحث في أيٍّ منها.

موضوعات الكتاب ومنهجه:

والكتاب دراسة نقدية قيمة ممتعة لأساليب العرب وفنون بلاغتها في نثرها وشعرها، وما تصطنعه من وسائل التجميل والتأنق والزخرف في كلامها. وقد بدأه المؤلف بتعريف البلاغة وجعل ذلك جواباً لمن سأله عن البلاغة ورغب إليه في بيان حدودها ومحاسنها. ولا

نعلم مــن سأله ذلك، ولمن ألــف كتابه هذا، ولعله ألفه لأحد ممدوحيه من أمراء الحلة المزيديين.

وقد فعل المؤلف ما فعله علماء النقد قبله من تأسيس دراساتهم النقدية على أسس بلاغية، فجعل كتابه في قسمين متميزين، درس في الأول بلاغة النثر ومذاهب الكتاب فيه، وما يصطنعون فيه من وسائل التأنق والزخرفة مما تشتمل عليه مباحث البلاغة من البيان والمعاني والبديع، ثم وقف على ما يعتور ذلك النثر من عيوب تتصل بألفاظه ومعانيه من التكرار وفسـاد المقابـلات والتقسيم والتفسير والاستحالة والامتناع والتناقض، واستعمال الوحشي المتروك وقبيح الخطاب، مع الإبانة عن فضل اللسان والبلاغة والكتابة، والوقوف على مسألة السرقات وحدّها. وعيوب المنطق وما يعتري بعض الناس من العجز عن نطق بعض الحروف العربية.

وعلى هذا النحو من الدرس والتفصيل، سار في القسم الثاني من كتابه الذي أفرده لنقد الشعر وبلاغته، وقد بدأه بالحديث عمّا يلتمسه الشعراء في أشعارهم من فنون البديع، فعدَّ منها أربعة وأربعين محسّناً بديعياً، وقد كانت تلك المحسّنات عند ابن المعتز ثمانية عشر محسّناً، ثم زادها قدامة ثلاثة عشر وأوصلها أبو هلال العسكري إلى خمسة وثلاثين وكذلك فعل ابن رشيق، ثم زاد فيها صاحبنا فجعلها أربعة وأربعين، وتلاه أسامة بن منقذ فأورد منها خمسة وتسعين، ثم بالـغ ابن أبي الأصبع المصـري، وتكلف وتمحل، حتى أوصلها إلى مائة واثنين وعشرين محسّناً[1]

(١) البلاغة تطور وتاريخ، الدكتور شوقي ضيف ٣٥٨.

وهو كغيره ممن سبقه وممن تلاه من المؤلفين في هذا الباب، قد أدخل في البديع موضوعات متصلة بعلمي البيان والبديع. كما تحدث عن صناعة الشعر وما يستحب فيه من براعة الاستهلال وحسن التخلص ومشاكلة الألفاظ للمعاني ودواعي الشعر واختلاف الشعراء في قوة الطبع ودقة الصنعة والمختار من الشعر ومذاهب العلماء في اختياره ونقده. ثم تلا ذلك بذكر النقد وحدّه وشروطه وما ينبغي أن يتوفر من مؤهلات لأصحابه والقائمين عليه.

ولأن المؤلف أقام دراسته هذه على أسس بلاغية وفصل دراسة النثر عن الشعر، ولأنَّ تلك المحسّنات والزخارف مما استخدمه الكتّاب والشعراء على حدٍّ سواء، فقد اضطر أحياناً إلى ذكر الموضوع الواحد مرتين، مرة في النثر ومرة في الشعر.

وقد ختم المؤلف كتابه هذا معتذراً عن صغر حجمه، فقال: إنه بلغ بقلة لفظه وعدم الإطالة فيه إلى ما يريده من بيان صناعة الشعر وأسسها وقواعدها، وأن من أراد طلب هذا العلم، وجد في كتابه مقنعاً وعلماً نافعاً من غير إطناب مخلّ ولا إطالة مملة.

وقد أشار المؤلف ثلاث مرات، في القسم الأول من كتابه عن النثر، إلى كتاب له في الشعر، ذكره أول مرة في حديثه عن نعوت الألفاظ في موضوع المتجانس فقال: (فمثل هذا في الكلام الموزون، بإزاء هذا المنثور كثير، ويسمى المتجانس، وقد شرحت حالَه في كتاب الشعر).

وذكره مرة ثانية عند إشارته لحديث أم زرع فقال: (وقد ذكرنا منه صدراً في كتاب تقدير الشعر).

وذكره ثالثة في حديثه عن التمثيل في النثر، فقال: (وهو أيضاً مستعمل في العبارة الشعرية، وقد ذكرنا وجه استعماله في الشعر في الكتاب الذي أفردناه في البلاغة الشعرية).

وأنا اعتقد أن (كتاب الشعر) الذي ذكره أول مرة، وكتاب (البلاغة الشعرية) الذي ذكره في المرة الثالثة، هما كتاب واحد، وهو القسم الثاني من كتابه هذا، الذي جعله خالصاً لدراسة الشعر وبلاغته، وآية ذلك أننا وجدنا فيه ما أشار إليه من ذكر الجناس والمماثلة في الشعر.

أما الكتاب الذي سمّاه (تقدير الشعر) وقال: إنه ذكر فيه صدراً من حديث أم زرع وسائر الأعرابيات اللائي هنَّ في حديثها، فنعتقد أنه كتاب آخر مستقل وهو غير القسم الثاني من كتابنا هذا. إذ لم نجد فيه إشارة لحديث أم زرع ولا ذكراً لها.

ومع أن المؤلف لم يشر إلى المصادر التي أخذ عنها مادة كتابه هذا، فمما لا شك فيه أنه أفاد كثيراً ممن سبقه في هذا العلم، كابن المعتز وقدامة بن جعفر وأبي هلال العسكري وابن رشيق وابن طباطبا، لا سيما ونحن نلاحظ تشابهاً بين مادة كتابه هذا وكتابي أبي هلال وابن طباطبا على وجه خاص، سواء ما اتصل منها بالموضوعات أو التبويب أو الشواهد، ولا ريب أن كثيراً ممن تلاه في هذا العلم قد أفاد من كتابه هذا، كأسامة بن منقذ في نقد الشعر، وابن أبي الأصبع المصري في تحرير التحبير والنويري في نهاية الأرب والتنوخي في الأقصى القريب والحلبي في حسن التوسل وغيرهم.

وبعدُ، فلعلي أطلتُ عليك في مقدمتي هذه المتواضعة للكتاب، ولا أريد أن أختمها إلاَّ بعد أن أفي نفراً كريماً من شيوخ العربية وأساتذتها الأجلّاء، بعض حقهم من الشكر والامتنان والتجلة والإكبار، فقد كان لكل منهم يد بيضاء وفضل سابغ، في إخراج هذا الكتاب للنور وتيسيره للناس، وهم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي رحمه الله، وقد اكتشف المخطوطة الأولى للكتاب ونشرها أول مرة، كما أسلفنا، والمرحوم الأديب الشاعر محمد طاهر السماوي الذي كان له فضل نسخ المخطوطة الثانية، فحفظها من الضياع وصانها من عاديات الزمن، والأستاذ الشيخ محمد بهجة الأثري، وهو أول من عرّف بمؤلف الكتاب ودرس شعره دراسة قيمة مفصلة، وأول من شجعني على تحقيق هذا الكتاب وإعادة نشره، وأستاذنا الكريم الدكتور جميل سعيد، الذي كان له فضل مراجعة عملي هذا وتقويمه بملاحظات مفيدة قيمة، والأستاذ الكبير أحمد راتب النفّاخ الذي أرسل لي متفضلاً صورة المخطوطة الظاهرية.

والله أسأل أن يتمَّ الفائدة بهذا الكتاب، ويجعل عملي فيه خالصاً لوجهه الكريم، وله الحمد مبتدأً وختاماً، وله المنة والفضل جميعاً.

محســن غياض عجيل

مدينة العين من أعمال إمارة أبو ظبي
غرة محرم الحرام سنة ١٤٠١ هـ
٩ نوفمبــر ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

رب أنعمت فزد

سألت أطال الله مدتك وأدام نعمتك
عمن دونك عن البلاغة والبلاغة ليست
ألفاظا فقط والمعاني فحسب بل هي ألفاظ
يعبر بها عن معان ولكن ليس كما اتفق ولا
كيف ما وقع إلا أن ذلك على هذا المجرى
لأن أكثر الناس بلغاء إذ كان أكثرهم
يؤدي عن المعاني التي يولدها بألفاظ تدل
عليها لكنهم يخرجون عن طريق البلاغة ومنهاج

الكتاب من وجهين أحدهما أن يكون الألفاظ
متنكرة متنوعة غير مرصوفة والأخرى
والثاني أن يكون أكثر معانيها بعضها ولكن
أن يعبر عن المعنى الدال عليه بأقل منها
على أن ذهب قوم إلى أن تكثير الألفاظ
المرصوفة في بعض المواضع داخل في البلاغة
وذلك إذا كان موضع يحتاج فيه إلى الخطاب
في العامة ومن لا يسبق خاطره إلى تفهم
المعنى في أول وهلة إما لبعده عن الذكاء
والفطنة أو لأن الموقف فإذا ذلك يكثر

صورة الورقتين الأولى والثانية من المخطوطة الشامية

وقف

قانون البلاغة

قال ... أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

سألت أطال الله مدتك وأدام نعمتك وحرسها ولك عن البلاغة والبلاغة
ليست ألفاظا فقط ولا معاني فحسب بل هي ألفاظ يعبر بها عن معان ولكن
ليس كما اتفق ولا كيفما وقع لأن ذلك لو جرى هذا المجرى لكان أكثر الناس
بلغاء إذ كان أكثرهم يؤدي من المعاني التي يولدها بألفاظ تدل عليها لكنهم
يخرجون عن طريق البلاغة ومنهاج الكتابة من وجهين أحدهما أن تكون
الألفاظ مستكرهة مستوخمة غير مصونة ولا منتظمة والثاني أن تكون
كثيرة يغني بعضها عن بعض ويمكن أن يعبر عن المعنى الدال عليها بأقل منها على أنه
ذهب قوم إلى أن لتكثير الألفاظ المترادفة في بعض المواضع دخلا في البلاغة
وذلك إذا كان موضع يحتاج فيه إلى الخطابة في العامة ومن لا يسبق
خاطره إلى تصور المعنى في أول وهلة إما لبعده عن الذكاء والفطنة أو
لأن الموقف مما يكثر فيه اللغط والضجة فيحتاج إلى إشباع المعنى وتوكيده
وتكريره لمن لا يمكنه السبق إلى تحصيله إلا بالألفاظ المترادفة وهي التي
يدل الكثير منها على معنى واحد بعينه مثل أن يقال في صفة السيف الحسام
الباتر الجراز القاطع وفي صفة الشجاع البطل الفاتك النجد الباسل
وفي صفة الجواد الخرق الباذل ... النائل الكثير الفواضل الغمر النوافل
وفي سائر الأوصاف على هذا النحو ومما يقع في باب المكاتبات بالفتوح
والعهود والصكوك والعقود وما جرى هذا المجرى ولهذا السبب
قال بعضهم في وصف كاتب بليغ إن أخذ شبرا كفاه وإن ... أطال
أملاه يذهب بهذا القول إلى أن البليغ يحتاج في موضع إلى الإطالة والإسهاب
كما يحتاج في آخر إلى الاختصار والإيجاز إلا أن أكثر ما عليه الناس في
البلاغة لفظ الاختصار وتقريب المعنى بالألفاظ القصار حتى إذ ...
... اللغة ... وهذا مذهب العرب وعادتهم

صورة الورقة الأولى من المخطوطة البغدادية

قانون البلاغة

في نقد النثر والشعر

تأليف

الشاعر الأديب أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي

المتوفى سنة ٥١٧ هـ

القسم الأول
في بلاغة النثر ونقده

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي، ربي أنعمت فزد

تعريف البلاغة

قال فخر الدين أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي:

سألتَ، أطال الله مدتك، وأدام نعمتك، وحرسَ دولتك، عن البلاغة. والبلاغة ليست ألفاظاً فقط، ولا معاني فحسب، بل هي ألفاظ يُعبر بها عن معانٍ، ولكن ليس كما اتفق، ولا كيفما وقع، لأن ذلك لو جرى هذا المجرى، لكان أكثر الناس بليغاً، إذ كان أكثرهم يؤدي عن المعاني التي يولّدها بألفاظ تدلُّ عليها، لكنهم يخرجون عن طريق البلاغة، ومنهاج الكتابة من وجهين، أحدهما: أن تكون الألفاظ مستكرهة مُستوخَمة، غير مرصوفة ولا منتظمة. والثاني: أن تكون كثيرة يغني عنها بعضها، ويمكن أن يُعبر عن المعنى الدالّ عليها بأقلّ منها.

على أنه ذهب قوم إلى أن تكثر[1] الألفاظ المرصوفة في بعض المواضع داخلٌ[2] في البلاغة، وذلك إذا كان موضع يُحتاج فيه إلى

(١) في س (لتكثر)

(٢) في س (دخلاً)

الخطابة في العامة، ومن لا يسبق خاطره إلى تصور المعنى في أول وهلة، أما لبعده عن الذكاء والفطنة، أو لأنَّ الموقف خاذل، يكثر فيه اللغط والضجة فيحتاج إلى إشباع المعنى وتوكيده وتكريره، لمن لم يمكنه السبق إلى تحصيله، إلاَّ بالألفاظ المترادفة، وهي التي يدلّ الكثير منها على معنى واحد بعينه، مثل أن يقال في وصف السيف: الحسام الباتر، الجراز القاطع. وفي وصف الشجاع: البطل الفاتك، النجد الباسل. وفي وصف الجواد: الخِرْقُ الباذل، الجمّ النائل، الكثير الفواضل، الغزير النوافل، وفي سائر الأوصاف على ذلك، وهذا يقع في باب المكاتبات بالفتوح والعهود، والصكوك وعقود العهود[١]، وما جرى هذا المجرى.

ولهذا السبب قال بعضهم في وصف كاتب بليغ: (إن أخذ شبراً كفاه، وإن تناول طوماراً أملاه)[٢] يذهب بهذا القول إلى أن البليغ يحتاج في موضع إلى الإطالة والإسهاب، كما يحتاج في آخر إلى الاختصار والايجاز، إلا أن أكثر ما هو عليه الناس في البلاغة أنها الاختصار وتقريب المعنى بالألفاظ القصار، حتى إذا سُئل بعض الناس عن البلاغة فقال: «هي لمحةٌ دالّةٌ»[٣] وهذا مذهب العرب وعادتهم في العبارة، فإنهم يشيرون إلى المعاني بأوحى إشارة ويستحبون أن تكون الألفاظ أقلّ من المعاني في المقدار والكثرة.

---

(١) في س : والعقود.
(٢) البديع لأسامة ٢٩٧ ومحاضرات الأُدباء ١ /٥٨.
(٣) هذا القول لخلف الأحمر في العمدة ١ / ٢٤٢.

ألفـــاظ الكُتَّـــاب.

فأَما ما يصلح للكُتَّاب، ويليق بذوي الألباب، أن تكون ألفاظهم غير ناقصة عن المعاني، ولا زائدة عليها.

كما وصف بعضَ الكُتَّاب واصفٌ فقال: (كأَنَّ ألفاظه قوالبٌ لمعانيه)[1] يريد أنها مطابقة لها، غير زائدة عليها، ولا ناقصة عنها، وهذا المذهب هو الذي يجب أن يستعمله الكُتَّاب إذا لم يكن موضع يُحتاج فيه إلى الإسهاب.

فإنه يحكى عن جعفر بن يحي البرمكي، وكان قريع دهره، ووحيد عصره بلاغةً في المكاتبة، وجودةَ لسانٍ في المخاطبة، أنه قال: (إذا كان الايجاز كافياً، كان التطويل عِيّاً، وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً)[2].

وقال ابن الأَعرابي[3]: قال لي المُفَضَّل[4]: قلت لأَعرابي ما البـلاغة؟ فقـال: (الإيجازُ من غيـر عَجْـز، والإطنـابُ من غيـر خَطَلٍ)[5].

---

(١) تحرير التحبير ١٩٧ والعمدة ١ / ١٢٧ والقول للعباس بن حسن العلوي في صفة بليغ.

(٢) البديع لأسامة ٢٩٧ والصناعتين ١٨١.

(٣) محمد بن زياد الكوفي، راوية علّامة نسابة شاعر مؤلف توفي سنة ٢٣١هـ. (الأعلام ٦ / ٣٦٥).

(٤) المفضّل بن محمد الضبيّ راوية علّامة صحب المهدي وصنف له (المفضليات) توفي سنة ١٧٨ هـ على الأرجح (الأعلام ٨ / ٢٠٤).

(٥) البيان والتبيين ١ / ٩٧ وزهر الآداب ١ / ١١٧.

وينبغي أن تعلم أن البلاغة لما كانت احدى الصناعات، كان لها ما لكل صناعة من المبادىء والموضوعات والأدوات. وأنه ليس واجباً على كل متعلم لصناعة أن ينظر في مبادئها وموضوعاتها، ولا أن يعلم أدواتها، وهذا عام لجميع الصناعات المهنية التي يباشرها الصانع بأَعضائه والعقلية التي يستعمل فيها فكره، فإن في الصناعات المهنيّة، الصياغة، وموضوعها الذهب والفضة، وليس يجب أن يَعلم مع تعلمها، كيف يُستخرج هذان الجوهران من معدنهما، ولا أن ينظر في شيءٍ من أمرهما، غير إقامة الصور فيهما. وكذلك لا يَعلم أيضاً كيف يُعمل شيءٌ من آلاتهما مثل المبرد والمطرقة والسندان وغيرها، بل تؤخذ أخذاً مُسلّماً، على أن عملها مُفوَّضٌ إلى الحدّاد، وكذلك صناعة الطب فإنها تنقسم جزأين علمي وعملي، وكلا هذين الجزأين هذه حاله، فإنه ليس يُتعلم [صُنعُ] [(١)] المكوى، ولا كيف يصنع المبضع، ولا غيرهما من الآلات، بل يتولى ذلك أهل صناعة أخرى، ولا في الجزء العلمي أيضاً يؤخذ في مبادئه، بل يؤخذ أخذاً مسلماً فيه، مثل أنه ليس يُبحث عن الحرارة والبرودة لِمَ كانتا فاعلتين والرطوبة واليبوسة لِمَ صارا منفعلتين.

كذلك من أراد أن يتعلم البلاغة لم يلزمه مع تعلمها أن يتعلم أدواتها التي لا تتم إلّا بها، ولا أن يبحث عن معانيها وموضوعاتها التي يحتاج إلى ضرورة فيها، كما لا يلزم غيرها من الصناعات التي ذكرنا، فإنه لو لزمنا البحث عن موضوعات البلاغة وتعلم أدواتها

---

(١) زيادة في ن.

لاحتجنا إلى النظر[١] في اللغة والنحو وتعلم القياس والجدل مع تعلمها، فطال ذلك وأدخلنا في الصناعة ما ليس منها.

فنقول الآن: إنا لما قلنا فيما مضى من المقدمة عند تعريفنا ما البلاغة: إنها ليست ألفاظاً مجردة ولا معاني قائمة في النفس مفردة، بل أقوالاً يُعبر بها عن المعاني، وجب أن يكون الاضطرار دافعاً إلى التوسع في اللغة التي مجراها مجرى الموضوع لصناعة البلاغة لتعذر للبليغ اللفظ ويحدث عند الحاجة ما يستعمله في البيان عن المعاني، على سبيل الناظم للجواهر المرصع بها ما يقصد إلى ترصيعه أن يكون معه جميع أصنافها، وكذلك سبيل البليغ في حاجته إلى الألفاظ.

المعـــانـي:

فأمّا المعاني فالاضطرار إليها في البلاغة أشدّ منه إلى الألفاظ، وذلك أن المعاني هي الأغراض المقصودة للعبارة بالإلفاظ عنها[٢]، والألفاظ مركبة في مراكبها، لأن للمعاني أربعة مراكب[٣]: إحداها أعيان الأمور، وذوات الأشياء التي توجد تلك المعاني فيها، ثم بعد

(١) في ظ هامشان، الأول: أقول هذا موضع النظر، لأنَّ النظر في اللغة واجب حتى يستعمل ما كان أدور فيقع فصيحاً، وكذلك النحو، لأنّه لو أُهمل أمرُ النحو فلا يكون التركيب مستقيماً، وكيف لا والبلاغة شرطها معرفة هذه الأحوال مع أشياء أُخر. والثاني: انظر إلى قوله: لاحتجنا إلى النظر، فإنَّ فيه نظراً، لأنّه يصرح بعد في بحث الاستعارة بقوله: ومن عيوبها أن تكون ملحونة خارجة على غير أسلوب الاعراب، فكيف يكون عيباً وهو شَرَطَ عدم معرفته، اللهم إلاّ أن يريد بالاحتياج الاحتياج التام، فتأمل.

(٢) في س: بالألفاظ.

(٣) في س: لأن المعاني أربع مراتب.

هذا المركب المعقول[1] التي تقوم معاني الموجودات في تصورها، ثم الألفاظ التي تعبر عن تلك المعاني المتصورة في العقل بها، ثم الحروف الموصوفة للخط الذي تكتب تلك الألفاظ بتأليفها.

الألفــاظ :

فالبليغ الكامل: هو الذي تكون الألفاظ عنده عتيدة غـزيرة، والمعاني في نفسه جمة كثيرة، فإنّه مع ذلك يجيش بحره ويسهل الكلام والكتاب عليه. والذي يجب على البليغ في استعمال الألفاظ أن تكون سمحة سهلة، لها حلاوة وطلاوة وعليها رونق الفصاحة مع الخلو عن البشاعة، فلا يكون متوعراً وحشياً، ولا ساقطاً عامياً، ومن نعوتها أن تصير الأجزاء متناسبة الوضع، متقاسمة النظم، متعادلة الوزن، مُتوخّى في كل جزأين منها أن تكون مقاطعها على حرف واحد في التسجيع، أو حرفين متقاربي المخرجين من الفم[2]، فإن انضاف إلى ذلك ألفاظ الجزأين المتزاوجة مسجوعة، كان أحسن. مثل ما قال أبو علي البصير[3] في بعض كلامه: «حتى عاد تعريضُكَ تصريحاً، وتمريضُك تصحيحاً»[4].

فأتى بجزأين متقاربين، متوازيين ومسجوعين بالحرف نفسه، وهو

---

(١) في س : هذه المرتبة المعقولة.

(٢) هذا يسمى الترصيع في مفاتيح العلوم ٤٧ وجواهر الألفاظ ٣.

(٣) هو الفضل بن جعفر بن الفضل كاتب بارع مترسل وشاعر مجيد، قال ابن المعتز في طبقات الشعراء ٣٩٩ (ورسائله وشعره كثير مشهور معروف) وله مديح للمعتصم وتوفي سنة ٢٥٨ هـ.

(٤) الصناعتين ٢٦٩ وسر الفصاحة ١٨١.

الحاء من غير استكراه ولا تعسف، ومتزاوجي الألفاظ مسجوعيهما حيث جعل بإزاءِ التعريض من الجزء الأول، التمريض من الجزء الثاني، وذلك سجع بحرف الضاد، وبإزاءِ التصريح التصحيح، بحرف الحاء.

فإن لم تتوجه هذه المنزلة وهي أحسن المنازل فما[1] دونها وهو السجع بالحرف نفسه فيما ضارعه وخرج قريباً من مخرجه كما كتب بعض الكُتَّاب:

«إذا كنتَ لا تُؤْتَى من نقص كَرَمٍ، وكنتُ لا أُوتَى من ضعف سببٍ، فكيف أخافُ منك خيبةَ أملٍ، أو عدولاً عن اغتفارِ زللٍ، أو فتوراً عن لمِّ شعثٍ وإصلاح خللٍ»[2]. فوضع نقص بإزاء ضعف، وكرم بإزاء سبب، وعدول بإزاءِ فتور، مناسبة في وضع الألفاظ، وموازنة بينها، وإلَّا فقد كان يمكن أن يُقال مثلاً: مكانَ نقصٍ قلة، ومكانَ سببٍ شكر، ومكانَ فتورٍ تقصير.

فلم تكن الألفاظ حينئذٍ تتوازن، وإن لم يتسهل أيضاً أن يكون الجزآن متوازيين في القدر، فليكن الجزء الأخير أطول، فإن تعدى حتى تكون الألفاظ مضرّسةً، والأجزاءُ مجتمعةً، وأَواخرها غير مسجوعة لا بحرفٍ واحدٍ بعينه، ولا بحروف متضارعة، فذلك خروج عن حدِّ البلاغة.

---

(١) أي : الذي دونها.

(٢) الصناعتين ٢٦٩ وجواهر الألفاظ ٤.

وقد ذكرت الكلمات: أمل، عدول، زلل، فتور، شعث، خلل، مُعرَّفة بالألف واللام في س.

السجع والازدواج:

ورأيتُ قوماً يذهبون إلى كراهة[1] السجع والازدواج في الكلام، من غير أن عرفت لهم في ذلك حجةً، فعلمتُ أنهم ذموا ما راموه فلم يصلوا إليه، وتعاطوه فلم يقدروا عليه، وإلاَّ فهذا القرآن وكلام الرسول وهما مسجوعان، فأمّا الذي في القرآن فأكثر من أن يُحاط، إذ كان مبناه عليه. وأمّا كلام الرسول فكقوله في عوذة سِبطية [2]:

«أُعيذك من الهامّة والسَّامّة، وكلِّ عينٍ لامّة»[3]، ألا ترى أنَّه في أصل اللغة ملمة، فرام المقاربة، فقال لامّة.

وقال: «خيرُ المال مُهرةٌ مَأمورة وسِكَّة مَأْبورة»[4].

وهو في أصل اللغة مُؤْمَرة، فعدل عنها إلى مأمورة.

وقال: «ارجِعْنَ مأْزوراتٍ [غير مأجورات»[5].

فعدل عن الوار إلى الهمزة][6]، لأَنَّه من الوزر، كما كان مأجورات بالهمزة.

---

(١) في هامش ظ: لعل قول من قال بكراهتهما محمول على أنَّه إذا كانا لا يحصلان إلا بتكلف، لا مطلقاً، فإنَّ علماء البيان قالوا: إنما يقبل إذا كان سجيةً، وحجة هذا لأنَّه بالتكلف يخرج عن السلاسة والفصاحة كما لا يخفى.

(٢) أي الحسن والحسين (رض).

(٣) الصناعتين ٢٦٧.

(٤) البيان والتبيين ٢ / ١٩، والمأمورة: الكثيرة النسل والنتاج، والسكة: الطريقة المصطفة من النخل، والمأبورة: الملقّحة.

(٥) الصناعتين ٢٦٧.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من ظ، ومثبت في س.

نعوت الألفاظ: الاشتقاق والمضارعة:

ومن نعوت الألفاظ: الاشتقاق والمضارعة، فالمشتق مثل ما قال خالد بن صفوان(1) للعبدري(2): «هَشَمتكَ هاشمٌ، وأمَّتْكَ أُميّةُ، وخَزَمتكَ مخزوم، فأنت ابنُ عبدِ دارِها، ومنتهى عارِها، تفتحُ لها الأَبوابَ إذا أقبلت وتُغلقها إذا أَدبرتْ»(3).

فمثل هذا في الكلام الموزون، بإزاءِ هذا المنثـور، كثير، ويُسمى المتجانس، وقد شرحت حاله في كتاب الشعر.

وأمَّا المضارعة(4): فكالذي جاءَ في الأَثر: «إياكم والمُشَارّةَ فإنّها تميت الغُرَّةَ، وتحيي العُرَّة»(5).

وكقول محبٍّ لمن قال: أخصصتُك «ما خصصتني، بل إنَّما خسستني»(6).

وكقول الآخر: «عوّلتُ لدي على مالي وآمالي»(7).

---

(1) خالد بن صفوان الأهتمي التميمي من مخضرمي الدولتين ومقربي الخلفـاء والخطباء الفصحاء المشهورين، توفي سنة ١٣٣ هـ (الأعلام ٢ / ٣٣٨).

(٢) العبدري: نسبة إلى عبد الدار وهم حيّ من قريش.

(٣) البيان والتبيين ١ / ٣٣٦ وأمالي المرتضى ١/٢٩٥.

(٤) جاء في هامش ظ: يعني المجانسة.

(٥) الصناعتين ١٨٥، والمشارة: المخاصمة، والعرّة،: العيب وسوء الخلق.

(٦) في سر الفصاحة ١٨٧ لنوفل بن مساحق يقوله للوليد بن عبد الملك الذي كان يلعب بالحمام وأذن لنوفل بالدخول عليه وقال: خصصتك بهذه المنزلة.

(٧) في زهر الآداب ٢ / ٩١٧ لعبد القيس البرجمي، الذي قال لحاتم الطائي: إني حملت دماءً عوّلت فيها على مالي وآمالي.

التبــــديــــل:

ومن نعوت الألفاظ التبديل[1]، وهو أن يُقدَّم في الكلام جزءٌ، ألفاظه منظومة نظماً تاماً، فيجعل ما كان مقدماً في الأول، متأخراً في الثاني، مثل قول من قال: «اشكُرْ لمن أنعَمَ عليك، وأنعِمْ على من شكرك»[2].

وكقول الآخر: «اسودَّ مني ما كنتُ أُحب أن يبيضّ، وابيضَّ مني ما كنت أُحب أن يسودّ، واشتد مني ما كنتُ أُحب أن يلين، ولانَ مني ما كنتُ أُحب أن يشتدّ»[3].

وكقول الآخر: (اللهم أَغْنِني بالفقر إليك، ولا تُفْقِرْني بالاستغناء عنك)[4].

الاستعـــارة:

ومن نعوت الألفاظ: الاستعارة، وهي كقول القائل: «ما زال يَفْتِلُ في الذِّروة والغارِب، حتى لفته عن رأيه»[5]. وكقول الآخر: (النَّبيذُ قيد الحديث)[6].

---

(١) جاء في هامش ظ: ويسمى طرداً وعكساً.

(٢) الصناعتين ٣٨٥ وجواهر الألفاظ ٤.

(٣) في البيان والتبيين ١ / ٣٩٩ وعيون الأخبار ٢ / ٣٢١ للهيثم بن الأسود بن العريان، وفي هامش ظ لمعن بن زائدة في مساءلة معاوية.

(٤) في عيون الأخبار ٢ / ٢٩٠ وجواهر الألفاظ ٥ دعاء لعمرو بن عبيد.

(٥) جمهرة الأمثال للعسكري ٢ / ٩٨ ولسان العرب (غرب).

(٦) في البصائر والذخائر ١ / ١٩٢ لأعرابي: النبيذ قبل الحديث وفي حاشية ن: لعل المعنى أن الحديث في مجلس النبيذ سرّ فكأنَّ النبيذ قيدٌ له عن الإفشاء.

وكقول الآخر. (فلانٌ أملس، ليس فيه مستقر لخيرٍ ولا شرّ)[1].

وكقول الآخر: (لا تخدش وجه رضاك [بأظفار][2] التوبيخ)[3].

وفي نعت القلم لعبد الله بن المعتز: «يخدم الإرادة، ولا يَملّ الاستزادة، يسكت واقفاً، وينطق سائراً، على أرضٍ بياضها مظلم، وسوادها مضيء»[4].

عيوب الألفاظ : اللحـــن :

ومن عيوب الألفاظ أنْ تكون ملحونة جارية على غير الإعراب والسبيل المبني عليه الكلام، ثم أن تكون بشعة مستوخمة، مضادة لما تقدم من نعوتها، ثم أن تكون ذات تعقيد. وفي وصية بشر بن المعتمر[5] (إياك والتوعّر، فإنه يستهلك معانيك، ويمنعك من مراميك)[6].

التجميـــع :

ومن عيوب الألفاظ التجميع، وهو أن يكون مقطع الجزء الأول من الجزأين المتتاليين على وزنٍ ما، فيؤتى بالتالي له على غير

---

(١) الصناعتين ٢٨٧ وجواهر الألفاظ ٥

(٢) زيادة من س. وساقطة من ظ.

(٣) في هامش ظ: والأحسن أن تقول: لا تخدش وجه رضاك بأظفار التوبيخ.

(٤) زهر الآداب ١ / ٤٣٠، وفي هامش ظ: أي بسواد المداد وبياض المعاني.

(٥) بشر بن المعتمر من شيوخ المعتزلة وعلماء الكلام وكان شاعراً أديباً، توفي سنة ٢١٠ (لسان الميزان ٢ / ٣٣).

(٦) البيان والتبيين ١ / ١٣٦ وفيه: والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك.

وزنه، ومنافراً في النظم له، مثل قول سعيد بن حُميد[1] في أول كتاب من كتبه: «فوصَل به ما يستعبِد الحرَّ، وإن كان قديمَ العبودية، ويستغرق الشكر، وإنْ كانَ سالفُ فضلك لم يبق شيئاً منه»[2].

فالمقطع على العبودية منافر للمقطع على «منـه».

الإطـالة من غير ضرورة:

ومن عيوبها أن يؤتى بالجزء الأول طويلاً فيحتاج إلى إطالة التالي له. ضرورة، فيصيّره إمّا مثله في القدر، أو زائـداً عليه، فيضطرب حينئذ ويظهر عليه سيماء التكلف.

التكـريـــر :

ومن عيوبها التكرير وهو أن تعاد الكلمات أنفسها، أو حروف الصلات والرّباطات، وما جرى مجراها في المدة القريبة. فأَمّا إعادة حروف الصلات والرّباطات فمثل: له وعليه، أو: منه وعليه، أو: به، له. فإن فصل بين الحرفين بكلمة،زال قبحه، مثل أن يقال: أقمت عليه شهداءَ به.

الوحشي المتروك:

ومن عيوبه أن يُركَّب منه الوحشي المتروك استعماله، الثقيل في المسمع.

---

(١) في ظ : حميد بن سعيد، وهو وهم، صححناه اعتماداً على س. وسر الفصاحة، وانظر في هذا الكاتب وآثاره (كتاب رسائل سعيد بن حميد وأشعاره) للدكتور يونس السامرائي بغداد ١٩٧١.

(٢) سر الفصاحة ١٧٠ والصناعتين ٢٧٠.

قوانين المعاني:

أمَّا حصر المعاني بقوانين كلية تستوعب أقسامها، وتستوفي أحكامها، فعسيرٌ لأنَّه يحتاج فيه إلى تقديم صناعات كثيرة، وعلوم شاقة، إلاَّ أن في فِطَر الناس السليمة اتباع الصواب وقصده. والنفار من الخطأ والحياد عنه، فقد يكتفي من سلم فكره، ولم يضطرب ذهنه، بما معه من المعرفة التي يوقع العبارة عنها.

إلاَّ أن لهذه الصناعة خاصة أغراضاً من المعاني، يلزم الكلام فيها، ومقاصد لا يسع الإخلال بها.

نعوت المعـــاني: صحـة التقسيـم:

فأمَّا نعوتها فمنهـا صحة التقسيم؛ وهـو أن يؤتى بالأقسام مستوفاة، لم يخلَّ بشيءٍ منها، ومتخلصة لم يدخل بعضها في بعض، كقول من قال: «لم تخلُ فيما بدأتني به من مَجْدٍ أثَّلته، أو شُكرٍ تعجّلته، أو أجرٍ ادّخرته، أو متْجَرٍ اتّجرته»[1].

صحـــة المقـــابـــلات:

ومنها صحة المقابلات:[2] وهي أن يؤتى بمعانٍ يُراد التوفيق بينها وبين معانٍ أُخر، والمضادة فيؤتى في الموافق بموافقه، وفي المضاد بمضاده، كقول القائل: (أهلُ الرأي والنصح لا يساويهم ذوو

---

(١) سر الفصاحة ٢٢٥ وجواهر الألفاظ ٥.

(٢) في هامش ظ: والعَلَمُ فيها قوله تعالى: ﴿فأمّا من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق، جعل في مقابلتها التعسير مشتركاً بين المنع والاستغناء والتكذيب، فافهم.

الأَفْنِ والغش، وليس مَنْ جمعَ إلى الكفاية الأمانة، كمن أضافَ إلى العَجْزِ الخيانة)[1].

فمن تأمل هذه المعاني، وجدها في غاية المعادلة، لأنَّه جعل بإزاءِ الرأي الأفن، وبإزاءِ النصح الغش، ومقابل الكفاية العجز، ومقابل الأمانة الخيانة، فهذا التقابل تعديل في الموافقة والمضادة.

ومن هذا الجنس قول هند بنت النعمان بن المنذر بن ماء السماء الملك للمغيرة بن شُعبة، بعقب إحسانٍ منه إليها (شكرتكَ يدٌ، نالتها خصاصةٌ بعد نعمةٍ، وغنيتَ عن يدٍ نالت ثروةً بعد فاقةٍ)[2].

صحـــة التفسيـــر :

ومنها صحة التفسير: وهي أن توضع معانٍ تحتاج إلى شرح أحوالها، فإذا شُرحت أوتي بتلك المعاني من غير عدولٍ عنها ولا زيادة عليها ولا نقصان منها. كقول من قال:

«وأنا أثق من مساءلتك في حال، بمثل ما أعلمه من مشاركتك في أُخرى، لأَنك إن عطفت وجدتَ لَدناً، وإن غمـزتَ ألفيتَ شيناً»[3].

وكقول آخر: «وأين يُذهب بك، مع غزير إنعامك، وشديد أحكامك، وأليم انتقامك، أن تكون مشباعـاً للضيف، ومدفـاعاً

---

(١) العمدة ٢ / ١٨، والصناعتين ٣٤٧. والأفن: ضعف الرأي.

(٢) سر الفصاحة ٢٥٢ وجواهر الألفاظ ٥.

(٣) جواهر الألفاظ ٦ وفيه: (أثق بمسالستك، من مشارستك، ألفيت شثناً).

للحيف، وممناعاً من الخوف»(١).

التتميـــم :

ومن نعوت المعاني، التتميم: وهو أن توجد في المعنى كتابة أو خطابة، فيُوفّى بجميع المعاني المتممة لصحته، المكملة لجودته، من غير أن يخلّ ببعضها، ولا أن يُغادر شيءٌ منها، كقول القائل: «فحلّقت به أسبابُ الجلالة، غير مستشعرٍ فيها لنخوة، وترامت به أحوال الصرامة، غير مستعملٍ فيها لسطوة، هذا مع زماتة(٢) في غير حصرٍ، ولين جانب من غير خَوَر»(٣).

فقد أتى هذا المتكلم بتتميمات المعاني التي جاء بها من غير أن يخلّ بشيءٍ منها.

المبالغة:

ومن نعوت المعاني، المبالغة: وذلك أن يذكر معنًى بما لو اقتصر عليه لكان كافياً فيما قصد له، فلا يقتصر على ذلك حتى يؤكد معانيه، ويعتمد المبالغة فيه. مثل قول الأعرابي: (اللهمّ إن كان رزقي نائياً فقرِّبــــه، أو قريباً فيسِّره، أو ميسَّراً فعجله، أو قليلاً فكثِّره، أو كثيراً فثمّره)(٤).

فهذه مبالغات تؤكد المعنى وتزيد فيه.

---

(١) لم أعثر عليه.

(٢) الزماتة : الوقـــار.

(٣) سر الفصاحة ٢٥٥ وجواهر الألفاظ ٦.

(٤) زهر الآداب ٢ / ١٠٧٥ وجواهر الألفاظ ٦.

التكافؤ:

ومن نعوت المعاني، التكافؤ: وهو أن يتكلم في أمر من الأُمور، فيؤتى فيه بمعانٍ متكافئة، وأعني بمتكافئة في هذا الموضع: متقاومة، أي: أن كل اثنين منها متعاندان حتى إذا قيل في معنى أن شيئاً أسود أُتي بآخر، يقال فيه: إنَّ شيئاً أبيض، إلى غير ذلك من وجوه العناد. مثل قول من قال: (كدرُ الجماعة، خيرٌ من صفو الفُرقَة)[1].

ومثل قول القائل: (وكان اعتدادي بك اعتدادَ مَنْ لا تَنْضبُ عنه نعمةٌ تَغْمُركَ، ولا يَمُرّ عليه عيشٌ يَحْلُو لك)[2].

فقوله بإزاءِ تنضب، تغمر، ويمر، يحلو، من التكافؤ.

عيوب المعاني:

فأَمَّا عيوب المعاني، فإن من كان حافظاً لما قدمناه في باب نعوت المعاني، فسيهون عليه تعرف عيوبها، وجِماع ذلك أن تكون المعاني معدولاً بها عن الأغراض المنتحاة، والمقاصد المتوخاة، إلَّا أن من تفصيل ذلك: الاستحالة والامتناع والتناقض.

المستحيل:

فأمّا المستحيل: فهو الشيء الذي لا يوجد، ولا يمكن مع ذلك أن يُتصور في الفكر، مثل الصاعد والنازل في حال واحدة، فإنَّ هذه الحال لا يمكن أن تكون ولا تُتصور في الذهن.

---

(١) جواهر الألفاظ ٧ والبيان والتبيين ١ / ٢٦٠.

(٢) الصناعتين ٣٢٠ وجواهر الألفاظ ٧.

الامتنـــاع :

وأمَّا الامتناع فهو الذي وإن كان لا يوجد فيمكن أن يُتخيل، ومنزلته دون منزلة المستحيل في الشناعة، مثل أن تركب أعضاء حيوان ما، على جثة حيوان آخر، فإن ذلك جائز في التوهم، ولكنه معدوم في الوجود.

التناقض:

وأَمَّا التناقض فبأن تجمع بين المقابلة من جهة واحدة.

وجوه تقابــل المعــاني:

والمعاني تقابل على أربعة أوجه[1]: إمَّا على طريق الإضافة، مثل الأب للابن، والضعف للنصف، والمولى للعبد. وإمَّا على طريق التضاد، مثل الأسود للأبيض، والحار للقار[2]، والخير للشرير، وإما على طريق القُنية[3] والعدم، مثل البصير للأعمى، والموسر للفقير، وذي الوفرة للأصلـع.

وإما على النفي والإثبات مثل أن يقال: زيد جالس، زيد ليس بجالس.

فالثلاث المقابلات الأُول تكون في المعاني، والرابعة تكون في اللفظ وحده، ولكن هذا التقابل الأخير لمّا كان قد يُعتقد أيضاً، حتى لعل من يعدم اللفظ، يشير إلى ما في نفسه منه إشارة بغير اللفظ،

---

(١) انظر هذا المبحث في سر الفصاحة ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ومفاتيح العلوم ٤٧.

(٢) القار: البارد، والقرُّ: البرد.

(٣) كذلك في ظ، وأبدلها في ن فجعلها (الملكة)، وهما بمعنى واحد.

كما يشير الأخرسُ مثلاً بأنّ يحطّ يده إلى أَسفل في الإيجاب، أو يرفعها إلى فوق في النفي، وما جرى هذا المجرى، أضفنا الكلام فيه إلى الكلام في المعاني.

وقولي في جميع هذه المقابلات من جهة واحدة، إنّما أردتُ به هذا هو الشنيع الجاري مجرى العيب. فأَمّا أن يكون مثلاً في باب المضاف، انسان ما أباً لزيدٍ، وابناً لبكر، ومولى لفلان، وعبداً لآخر، ويكون عددٌ ما، نصفاً لعشرين، وضعفاً لخمسة.

وكذلك في التضاد مثل أن يكون الفاتر حاراً عند البارد، وبارداً عند المحرق.

وفي القُنية[1] والعدم، مثل أن يكون إنسانٌ بصير القلب، أعمى العين، أو معسراً[2] من عرض موسراً[3] من آخر. وفي الإثبات والنفي، مثل أن يكون زيدٌ جالس الظُهر، ليس بجالس العصر، فجميع ذلك جائز.

فأمّا المنكر المستبشع الذي أومأنا إلى أنه إذا وجد في معنى كان معيباً، مثل أن يُجعل[4] رَجل ما، أباً لزيد، وابناً له، وعددٌ ما ضعفاً لخمسة ونصفاً لها، وشيءٌ ما حاراً عند رجل وبارداً عنده بعينه، وإنسانٌ ما أعمى القلب بصيره، ويُجعل زيدٌ قائماً في هذا

---

(١) كذلك هي في ظ وأبدلت في ن بالملكة.

(٢) في س : موسراً.

(٣) في س : معسراً.

(٤) في س : يُقال، وجعل الكلمات التالية لها مرفوعة وهي: أب وابن وضعف ونصف وحار وبارد.

الوقت، غيرَ قائم فيه نفسه، فهذا كله فاسدٌ لا يجوز، لأنَّ التقابل جُعل فيه من جهة واحدة، فيصير حينئذ تناقضاً، وهو من أفحش عيوب المعاني المعبّر عنها بالكلام المنثور، والكلام المنظوم أيضاً.

فســـاد التقسيـــم:

ومن عيوب المعاني، فساد التقسيم، وذلك يكون على ثلاثة أوجهٍ: إمَّا بتكرير المعنى، أو بأن يؤتى منها ما يكون بعضه داخلاً تحت بعض، أو بأن يخلّ بما يقتضي المتكلم فيه استيفاؤه.

التكـــريـــر:

فأمّا التكرير، فمثل ما كتب بعضهم إلى عامل (ففكرتُ مرةً في عَزْلِكَ، وأُخرى في صرفك، وتقليد غيرك)[1]. ومثل قول هذا الرجل لهذا العامل (فتارةً تسترق الأموالَ وتختزلها، وتارةً تقتطعها وتحتجنها)[2].

تـــداخـــل الأقسام:

وأَمَّا دخول بعض الأَقسام في الآخر، فمثل ما سأل بعض النَوْكى فقال: «أخبروني عن علقمة بن عبدة، جاهليٌّ هو أم من بني تميم؟»[3].

ومثل قول بعض المترسلين في فتح «فمن بين جريحٍ مُضرّج

---

(١) الصناعتين ٣٥٤ وسر الفصاحة ٢٢٦.

(٢) الصناعتين ٣٥٤ ومفاتيح العلوم ٤٨.

(٣) السؤال لكيسان الأحمق في الصناعتين ٣٥٢ وسر الفصاحة ٢٢٦.

بدمائِه، وهاربٍ ما يلتفت إلى ورائه»[1].

فكلا هذين القسمين يدخل في الآخر، لَأنَّ الجريح قد يكون هارباً، والهارب قد يكون جريحاً.

الإخــلال:

وأمّا الإخلال ببعض الأقسام فمثل قول القائلِ: «إنكَ لا تخلو في هربك من صَارِفك، أن تكون قدمت إليه إساءةً خفتَ منه معها، أو خُنْتَ في عملك خيانة، رهبت بكشفه إياك عنها، فإن كنت أسأتَ (فأول راضٍ سُنَةً من يسيرها)[2] وإن كنتَ خنتَ خيانة، فلا بد من مُطالبتك بها»[3].

فكتب العامل تحت هذا، هذا التوقيع «قد بقي من الأقسام ما لم تذكر، وهو اني خفتُ ظُلْمه إياي بالبُعدِ منك، وتكثيره عليَّ بالباطل عندك، ووجدتُ الهرب إلى حيث يمكنني فيه دفع ما يتخرصه، أنفى للظِّنة عني، والظلمُ عمّن لا يُؤمن ظلمه أولى بالاحتياط لنفسي»[4].

فســـاد المقابــلات:

ومن عيوب المعاني، فساد المقابلات، ومن كان حافظاً لما

---

(١) سر الفصاحة ٢٢٦ ومفاتيح العلوم ٤٨.
(٢) عجز بيت لخالد بن زهير الهذلي في نقد الشعر ١٧٣، وصدره:

(فلا تجزعن من سُنةٍ أنت سرتها).

(٣) الصناعتين ٣٥٣ وسر الفصاحة ٢٢٦ والقول لابن منارة الكاتب.
(٤) الصناعتين ٣٥٣ ومفاتيح العلوم ٤٨.

ذكرنا من صحة المقابلات في باب نعوت المعاني، وقف بسهولة على الوجه في فسادها. وذلك أن يُذكر معنى يقتضي الحال ذكر ما يوافقه ويعانده، فيؤتى بما لا يوافق ولا يشاكل، أو بما لا يقاوم ولا يعادل، فليس المقول فيه من الناس، : إنه خيرٌ على الإطلاق معانداً للمقول منهم: إنه مارق ولا موافق.

ولهذا لا يحسن في البلاغة، وكلام أهل الحِجـا: لم يأتني من الناس أسودُ، ولا أسمر، بل الأجمل أن تقول: ولا أبيض. لأنَّ الأَسمر ليس يعاند الأسود غاية المعاندة، ولا يوجد منه في غاية المباعدة.

وكذلك لو قال قائل: ما صاحبتُ في هذا البلد خيّراً ولا شريراً، كان ذلك أذهب في سبيل السداد، من قوله: خيّراً ولا سارقاً.

فســاد التفسيــر:

ومن عيوب المعاني، فساد التفسير، ومن كان ذاكراً لما قدمناه من نعت هذا الباب، عرف الوجه في عيبه، ومن المثالات في ذلك قول بعض المترسلين إلى عامل من عمال الأطـراف (ومَنْ كان لأمير المؤمنين كما أنتَ له من الذَّبِّ عن ثُغوره، والمسارعة إلى ما يهيب به إليه، من صغير خطب وكبيره، كان جديراً بنصح أمير المؤمنين في أعماله، والاجتهاد في تثمير أمواله)[1]. فليس التي قدم من الحال التي عليها هذا العامل في الذبّ عن الثغور، والمسارعة في الخطوب، مما سبيله أن يُفسَّر بالنصح في الأعمال، وتثمير الأموال،

---

(١) الصناعتين ٣٥٧ ومفاتيح العلوم ٤٨.

إذ كان الذي قدمه لا يلزم عنه ما فسر به.

مذاهب البـــلاغة:

ومن نعوت البلاغة: أن البلاغـة ثلاثـة مذاهب يقصـد في استعمالها: المساواة، والإشارة والتذييل.

فالمساواة: أن يكون اللفظ كالقالب للمعنى لا يفضل عليه، ولا ينقص عنه.

والإشارة: أن يكون اللفظ مشـاراً به إلى المعنى كـاللمحة الدالة.

والتذييل: [١] إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد بعينه. حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه، ولكل مذهب من هذه المذاهب موطن يليق به، ووقت لا يصلح فيه غيره.

فأمّا المساواة، فأولى المواطن بها إذا كانت المخاطبة للنظراء ومن ليست له مآرب تشغله، ولا شؤون تصرفه عن استيفاء المعنى إلى آخره.

وأمّا الإشارة فأولى الأوقات بها الوقت الذي يُخاطب أو يُكاتب فيه ذو المراتب العالية، والشؤون الكثيرة، والهمم المنقسمة، لأنَّ من كان في هذه الطبقة احتاج أن لا يُشغل خاطره بمعنى واحد بعينه، ولا ينفذ زمانه اهتمام بغيره، وكان الوحي [٢] عنده أنفق من الإطالة، والإشارة إليه أولى من تطويل المقالة.

---

(١) سماه الخوارزمي الاشباع، في مفاتيح العلوم ٥٠

(٢) الوحي: الإيجاز والاشارة.

وأمّا التذييل، فإنما سبيله أن يستعمل في المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة، وقد قال بشر بن المعتمر: (ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، فيوازن بينها وبين أقدار المستمعين، ويجعل لكل طبقة كلاماً، ولكل حالٍ مقاماً، حتى يقسم أقدار المعاني، على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على تلك الحالات)[١].

أمثلـــة لمذاهـــب البلاغـــة:

وإذ قد ذكرنا من أحوال هذه المذاهب الثلاثة ما أنبأ عن صورة الأمر، فإنّا نأتي في كل مذهب منها بمثال مما تقدم استعمال البلغاء إياه، في جنسه، ليزيد ذلك من عمله شرحاً لما وعاه من معانيه، وينبئُ من لم يفهمه عن حقيقة الحال فيه، وأبدأ من ذلك بمذهب الإشارة:

قال أحمد بن يوسف الكاتب[٢]: دخلتُ يوماً على المأمون، وبيده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى، ويُصَعِّد فيه طرفه ويُصوّب، فلمّا مرت على ذلك مدةٌ من زمانه، التفتَ إليَّ وقال: يا أحمد أراك مفكراً فيما تراه مني؟ قلت: نعم. فقال: إنَّ في هذا الكتاب كلاماً نظير ما سمعتُ الرشيد يقوله في البلاغة، زعم أن البلاغة إنّما هي التباعد عن الإطالة، والتقرب من معنى البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ، على كثير المعنى، وما كنتُ أتوهم أن أحداً يقدر على ذلك حتى قرأتُ هذا الكتاب، ورمى به إليّ، وقال: هذا كتاب عمرو بن

(١) البيان والتبيين ١ / ١٣٨.

(٢) أحمد بن يوسف، العجلي بالولاء، من أهل الكوفة، كاتب شاعر فصيح تولى ديوان الرسائل والوزارة للمأمون وتوفي ببغداد سنة ٢١٣ هـ (الأعلام ١ / ٢٨٤).

مسعدة[1] إلينا، ففككته فإذا فيه:

(كتابي إلى أمير المؤمنين ومَنْ قِبَلي من قُوَّادِه، ورؤساء أجناده، في الانقياد والطاعة، على أحسن ما تكون طاعةُ جندٍ تأخرتْ أرزاقهم، وانقيادُ كُفاةٍ تراخَتْ أعطياتُهم، فاختلَّت لذلك أحوالُهم، والتاثَتْ معه أمورُهم)[2].

فلمّا قرأته قال: إن استحساني إياه، بعثني أن أمرتُ للجند قِبَله بأعطياتهم لسبعة أشهر، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقه مَنْ حلَّ محله في صناعته[3]. وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب لرجلٍ به عناية إلى بعض العمال في قضاء حقه وأن يختصر كتابه ما أمكنه، حتى يكون ما يكتب به في سطر واحدٍ، لا زيادة عليه، فكتب عمرو: «كتابي كتابُ واثقٍ بمن كَتبتُ إليه، معتنٍ بمن كُتبتْ له، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله»[4]...

وكان جعفر بن يحيى[5] يقول لكُتَّابه: «إن استطعتم أن يكون كلامُكم كله مِثلَ التوقيع فافعلوا»[6].

وكتب إبراهيم بن أبي يحيى[7] إلى بعض الخلفاء يعزيه،

---

(١) عمرو بن مسعدة، أبو الفضل الصولي، وزير المأمون وأحد الكتّاب البلغاء المشهورين، توفي سنة ٢١٧ (الأعلام ٥ / ٢٦٠).

(٢) العمدة ٢ / ٤١ وزهر الآداب ٢ / ٨٣٦.

(٣) الحكاية كلها في سر الفصاحة ٢٠٠ - ٢٠١.

(٤) سر الفصاحة ٢٠١.

(٥) هامش في ظ: وهو قريع دهره ونسيج وحده في معرفة البلاغة.

(٦) البيان والتبيين ١ / ١١٥ وزهر الآداب ١ / ١٥٧.

(٧) أبو اسحق ابراهيم بن أبي يحيى الأسلمي، مدني من علماء الحديث وشيوخ الشافعي توفي سنة ١٨٤ هـ (الأعلام ١ / ٥٥).

ويجـري في المذهب الذي نحن بسبيله وهي: «أمَّا بعد، فإنَّ أحقَّ من عرف حقَّ الله عليه، فيما أخذ منه، من عَظَّم حقَّ الله فيما بقّاه له، واعلم أنَّ الماضي قبلك، هو الباقي لك، وأنَّ الباقي بعدك، هو المأجورُ فيك، وأن أجر الصابرين فيما يُصابون به، أعظَمُ من النعمة عليهم فيما يُعافَوْن منه»[1].

ودخل بعض البلغاء على بعض الأُمراء فقال: «السلامُ عليك أيها الأمير، سلاماً يتصل أمثالهُ بسمعكَ أبداً ما بقيتَ، إمّا من وليّكَ، بطوعِ قلبه، وصادق ودِّه، وإمّا من عدوكَ برغم أنفه، وذلّ خدّه»[2].

الإرداف:

ومن نعوت إشراك اللفظ والمعنى، الإرداف: وهو أن يراد للدلالة على معنى، فلا يؤتى باللفظ الخاص بالدلالة على المعنى نفسه، بل بلفظ هو ردفه، وتابع له ضرورة. ليكون في ذكر التابع، دلالة على المتبوع، وهذا المذهب يوجد كثيراً في الأَشعار وبلاغة الأَعراب، مثل ما قالت أَعرابية تصف رجلاً (ولقد كان منهم عَمّارٌ، وما عمّار، لم تُخْمد له قطّ نار، طَلَّابٌ بأوتار)[3].

وإنما أرادت بقولها: لم تخمد له قطُّ نار: كثرة إطعامه الطعام، فلم تأت باللفظ الدالِّ على هذا المعنى نفسه، بل ذكرت إيقاده النيران، لأَنَّ ذلك تابعٌ لاتخاذ الطعام.

---

(١) البيان والتبيين ٢ / ٧٤ وعيون الأخبار ٣ / ٥٢ يعزّي المهدي بابنته.

(٢) محاضرات الأدباء ٢ / ٤٠٥ لرجل في تحية الإمام علي (رض).

(٣) سر الفصاحة ٢١٩.

ومثل قول أخرى وصفت زوجها فقالت: (أخذني من أهل غُنَيْمَةٍ بشِقٍّ فجعلني في أهلِ صَهيلٍ وأطيطٍ ودَائِسٍ ومُنَقٍ)[1].

فأرادت أنه أخذها من أهلها وهم فقراء لهم غنم قليلة، فجعلها في قومه، وهم أغنياء لهم خيلٌ تصهل، وإبلٌ تئط، أي ترغو، ومزدرعٌ يُغِل.

فأكثر هذه المعاني التي أتت بها، إنَّما هي أرداف معانٍ أشارت إلى الدلالة عليها.

وكذلك حديث سائر الأَعرابيات اللائي هُنَّ في حديث أُمّ زرع[2]، وقد ذكرنا منه صدراً في كتاب تقدير الشعر. وممّا جاء في ذلك من بلاغات المُحدَثين: ما كتب به بعض الكُتَّاب إلى صديق له فقال: «وكيف لا أتمسك بعهدك، واتشبث بعلائق ودّك، وأنتَ ممن لا تُقلى صحبته، ولا تُخشى غيبته، ولا يكدّ الصديق عتبه ومعاتبته»[3].

فهذه الأَلفاظ مُجراة مجرى الإرداف. فأراد بقوله: لا تُقلى صحبتُه: أي لا يسيء إلى مصاحبه، وإذا لم يسئ لم يُقْل ولا تُخشى غيبته، انَّه ليس بشرير، ولا وقّاعة في الناس. ولا يكدّ ذلك

---

(١) راجع هذا في حديث أم زرع في بلوغ الأرب للآلوسي ٢ / ٤٤.
والشقّ: شق الجبل، ودائس ومُنَق: أهل زرع.
وصهيل وأطيط: أي أهل خيل وإبل.

(٢) انظر في حديث أم زرع، فتح الباري ١١ / ١٦٣ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٥ / ٢١٢ وبلوغ الأرب للآلوسي ٢ / ٤٤.
(٣) لم أعثـر عليه.

أنَّه لا يتجنى على صديقه فيعاتبه فيما لا أصل له، ولا يسيء عشرته فيحوجه إلى معاتبته.

ومما جاء من ذلك قولُ من قال: «حتى إذا ثارَ النَقعُ، والتفَ الجَمعُ بالجمَعِ، واحمرَّت الأَحداقُ، وقَامتْ الحربُ على سَاق»[1].

وكل هذه الأَشياء تدلّ على معركة الحرب.

التمثيـــل:

ومن نعوت إشراك اللفظ والمعنى، التمثيل: وهو أن يراد الإشارة إلى معنى، فتوضع ألفاظٌ تدلّ على معنى آخر، وذلك المعنى وتلك الأَلفاظ، مثالٌ، للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه، والعبارة عنه، وأكثر الاستعمال لهذا المذهب إنَّما هو في البلاغة الشعـرية، وقـد استعملها الكُتَّـاب في رسائلهم، والخـطباء في خطبهم، فيكون ذلك مما يحسن موقعه، ويبين في البلاغة موضعه.

ومن الأَمثلة في ذلك كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد، وقد بلغه أنَّه يتلكؤ في بيعته «أمَّا بعد، فإني أَراك تقدِّم رجْلًا، وتؤخِّر أخرى، فاعتمد على أيتهما شئت، والسلام»[2].

فلو كتب: إذا أتاك كتابي هذا فبايع، لم يكن للفظه من العمل في المعنى ما للتمثيل الذي أتى به.

---

(١) لم أعثـر عليـه.

(٢) البيان والتبيين ١ / ٣٠٢ وجواهر الألفاظ ٧.

ومن هذا الجنس كتاب الحجّاج إلى المُهَلَّب يستزيده في قتال الأزارقة: (فإن أنتَ فعلت ذلك، وإلاَّ شرعتُ عليك الرمح)[1].

فقال المُهلَّب في الجواب: (إن شرعتَ إليَّ الرمح قَلبتُ عليك ظهر المجنّ)[2].

فهذا المذهب الذي هو التمثيل معاكسٌ لمذهب الإرداف إذ كان في ذلك قوة الإسهاب والبسط، وفي هذا قوة الإيجاز والجمع، وهو أيضاً مستعملٌ في العبارة الشعرية.

وقد ذكرنا وجه استعماله في الشعر في الكتاب الذي أفردناه في البلاغة الشعرية.

الإخـــلال: [3]

ومن عيوب اشتراك اللفظ والمعنى، الإخلال: وهو أن يخلّ من اللفظ بما فيه استيفاء المعنى وتمام المقصد به، مثل ما كتب كاتبٌ فقال: «فإنَّ المعروف إذا زجا، كان أفضل منه إذا توفر وأبطا»[4].

فأرى أنَّ هذا الكاتب إنَّما أراد أن يقول له: فإنَّ المعروف إذا قلَّ وزجا، كان أفضل منه إذا كثر وأبطأ. فترك ما به يتمّ المعنى وهو ذكر القلة.

---

(١) سر الفصاحة ٢٢٢.

(٢) سر الفصاحة ٢٢٢.

(٣) سماه الخوارزمي في مفاتيح العلوم ٤٩: الإخلال في التفسير.

(٤) سر الفصاحة ٢٠٥ والصناعتين ١٩٤، وزجا: تيسر.

الإخــلال بالإفــادة:

ومن عيوب هذا الجنس، الإخلال بالافادة[1]، وهو أن يؤتى في الكلام بزيادة لفظ يفسد المعنى، كما لو قال قائلٌ مثلاً: «فإنَّ الأَمر والنهي، لو ذقتهما، طيبان»[2].

فقوله: لو ذقتهما، زيادة تفسد المعنى، وذلك أنَّه لو لم يذقهما لم يكونا طيبين، وليس الطيّبُ والكريه إنّما يكونان كذلك بذواق الذائق لهما، بل هما على هذه الحال بأنفسهما.

[الانتقــال][3]:

ومن عيوب اشتراك اللفظ، أن تقدم ألفاظاً تقتضي جواباً يأتي بعدها بإعادة ما تقدم منها، فلا يؤتى بالأَلفاظ بأَعيانها، بل ينقل المعنى الذي تدلّ عليه الألفاظ إلى ألفاظ أُخر غيرها، مثل ما كتب بعضهم «فإنَّ مَن اقترف ذنباً عامداً، واكتسب جرماً قاصداً، لزمه ما جناه، وحاق به ما توخاه»[4].

فنقَل لفظي الاقتراف والاكتساب، إلى لفظي الجناية والتوخي، وكان الأَحسن أن يأتي بهما بأعيانهما فيقول: لزمه ما اقترفه، وحاق به ما اكتسبه، إذ كان ذلك هو الذي يختاره البلغاء.

---

(١) وكذلك سماه الخوارزمي في مفاتيح العلوم ٤٩.

(٢) مفاتيح العلوم ٤٩.

(٣) سقط اسم هذا العيب من الأصل، وقد ذكره الخوارزمي بهذا الاسم وعرّفه نفس تعريف مؤلف هذا الكتاب، انظر مفاتيح العلوم٥٠.

(٤) مفاتيح العلوم ٥٠ والجامع الكبير ٢١٥ لابن الأثير وذكره مثالاً لفساد التقسيم.

الهذر والتبعيد:

ومن عيوب هذا الجنس، الهذر والتبعيد، عند الحاجة إلى الإيجاز والتقريب، وهذا هو زيادة الألفاظ على المعاني، من غير سبب يدعو إليها، أو حاجة تبعث عليها، والمثالات في ذلك موجودة كثيرة من كلام العامة والدخلاء في الصناعة.

المحاورات المستحسنة:

إنَّ من آلة الكاتب وأداته أن يضيف إلى الإحسان في المكاتبة، مثل ذلك في المحاورة والمخاطبة.

حتى تكون ألفاظُه مهذبةً، وإشاراتُه، مستعذبةً، والنفوسُ نحوه إذا نطق منصتةً[1]، فمن المحاورة المستحسنة، قول الفضل بن الربيع، وقد قال له الرشيد: كذبتَ.

قال: (يا أمير المؤمنين بل أنت كذبت لأنَّ[2]، وجهُ الكذُوب[3] لا يقابِلُكَ، ولسانُه لا يخاطِبُك)[4] فوصله. وقال: كذبني فوصلته لحُسنِ جوابه.

ودخل سعيد بن مُرّة على معاوية، فقال له: أنت سعيد بن مرّة؟ فقال: (أنا ابنُ مُرّة وأنت السعيد)[5]، فوصله لحُسنِ جوابه.

وقال السفاح أو المنصور للسيد [الباقر][6]: أأنت السيد؟

---

(١) في س: منجذبة.

(٢) بل أنت كذبت لأنَّ، هذه العبارة في ظ و س، وسقطت من ن.

(٣) في س: الكذّاب.

(٤) الصناعتين ٤٤٨.

(٥) الصناعتين ٤٤٩ وبديع أسامة ٢٨٥.

(٦) سقطت هذه الكلمة من س. وقد مات الإمام الباقر زمن بني أمية.

فقال: «أنا ابن أبي، وأنت السيد»[1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس: «أنت أكبر منّي. فقال: أنا أسنّ، وأنت أكبرُ مني»[2].

وقال سعيد بن عمرو بن عثمان[3]، لطُوَيسٍ المخنث: أيُّنا أسَنُّ؟

فقال: «بأبي أنتَ وأميّ، لقد شهدتُ زِفافَ أُمِّك المباركة إلى أبيك الطيّب»[4]، فلو جعل الطيّب وصفاً للأمّ هجَّنَ بالابن.

الخطـاب القبيــح:

وعلى حسب ما يستحسن هذا الجنس من الجواب، يُستقبح ما كان خلافه من الخطاب، كما يروى أنَّ رجلاً مرَّ بأبي بكر أو بعمر، ومعه ثوبٌ، فقال: «تبيعه؟ قال: لا عافاك الله. فقال: قد عُلِّمتم لو تعلمون، هلاّ قلتَ: لا، وعافاك الله»[5].

تفضيــل البــلاغـة:

ومما جاء من الدلالة على تفضيل البلاغة، ما أنا ذاكره في هذا الكتاب.

---

(١) هذه المحاورة في بديع أُسامة بين معاوية والسيد الحميري، وهو وهم كبير فالسيد من الشعراء العباسيين ولم يدرك معاوية، وجعلها العسكري في الصناعتين ٤٤٩ بين الرشيد والسيد الحميري، وهي بين السفاح والسيد الحميري في محاضرات الأدباء ١ / ٦٧. وقد جعلها صاحب المحاسن والأضداد ١٤ بين المأمون والسيد بن أنس الأزدي.

(٢) الصناعتين ٤٤٩.

(٣) في البيان والتبيين: سعيد بن عثمان بن عفان.

(٤) المصدر السابق ١ / ٢٦٣.

(٥) في البيان والتبيين ١ / ٢١٦ والصناعتين، القول لأبي بكر (رض).

قال العباس: «يا رسولَ الله فيمَ الجَمالُ؟ فقال: في اللّسان»[1].

وزعمت الحكماءُ: أنَّ أعلى الخلق مرتبة الملائكة ثم الإنس، وإنّما صار لهؤلاء الفضل على سائر أصناف الخلق بالعقل والنطق.

وقال مَسْلَمَةُ بن عبد الملك: «مروءتان ظاهرتان: الرياش والفصاحة»[2].

ودخل ضَمْرة بن ضَمْرة[3] على النعمان بن المنذر، فاحتقره لدمامة كانت فيه، فقال: «تسمع بالمُعَيديّ خيرٌ من أن تراه، ويُقال: لا أن تراه. فقال: أبيتَ اللعنَ، إنَّ الرّجال لا تُكال بالقُفْزان[4]، وليست بمُسوكٍ[5] يُستَقَى بها، وإنّما المرءُ بأصغريه: قلبه ولسانه، إن صالَ صال بجنان، وإن قالَ قال بلسان»[6]، وقال الشاعر[7]:

وكائِن تَرى من صامتٍ لكَ مُعجبٍ
زيادتُه أو نقصُه في التكَلُّمِ[8]

(١) العمدة ١ / ٢٤١ والبيان والتبيين ١ / ١٧٠.
(٢) عيون الأخبار ١ / ٢٩٦ ومحاضرات الأدباء ١ / ٦٠.
(٣) ضمرة بن ضمرة المجاشـي من وجوه تميم وخطبائها (انظر الاشتقاق لابن دريد ١٤٩ ومجمع الأمثال ١ / ١١٨).
(٤) القفزان: جمع قفيز وهو من المكاييل.
(٥) المسوك: الجلد والقِربَة.
(٦) البيان والتبيين ١ / ١٧١، ٢٣٧ وزهر الآداب ٢ / ١٠٨٨.
(٧) الشاعر في البيان والتبيين هو الأعور الشّني وهو بشر بن منقذ الأسدي، وهو شاعر إسلامي.
(٨) البيان والتبيين ١ / ١٧١، وفي هامش ظ تعليق، نصّه: قال تعالى: ﴿وكأين من قرية﴾ والتنوين في صورة الكتابة، ليس في القرآن إلّا بهذا، وجاء (كايْنْ) بغير التشديد.

وصف البليغ وترتيب البلاغة:

وممّا جاء في وصف البليغ وترتيب البلاغة، ما أنا ذاكره:

حكى الجاحظ عن بعض حكماء الهند أنّه قال: «أول البلاغة جماعُ آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأش، ساكنَ الجوارح، قليلَ اللحظ، متخيَّر اللفظ، لا يكلّم سيدَ الأمة، بكلام الأَمة، ولا الملوك بكلام السُّوقة، ويكون معه من القوة ما يصرّف به لفظه في كل طبقة، حتى لا يدّقق المعنى إذا خاطب أوساط الناس، ولا يدع ذلك إذا خاطب حكيماً أو كاتَبَ فيلسوفاً»[١].

وقال الجاحظ: «من شروط البليغ، أن يكون ذاكراً لما عَقَدَ عليه أولَ كلامه، ويكون تصفُّحه لمصادره في وزن تصفُّحه لموارده»[٢]، قال: «وكان خالد بن صفوان[٣] يوصــف بأنَّه أذكَرَ الناس لأول كلامه، وأحفظهم لكلِّ ما سَلَف من منطقه، فقال فيه الشاعر[٤]:

عليمٌ بتـأويـل الكـلام مـلقَّنٌ
ذكـورٌ لـمـا سَـدَّاه أَوّلَ أولا
يَبُذّ قريعَ القوم في كـلّ مجمعٍ
وإنْ كان سحبانَ الخطيب ودغفلاَ[٥]

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٩٢ من صحيفة بهلة الهندي مع خلاف يسير في الرواية.

(٢) البيان والتبيين ١ / ٩٣ من صحيفة بهلة الهندي.

(٣) خالد بن صفوان الأهتمي من مخضرمي الدولتين ومشاهير الخطباء ومرَّ التعريف به سابقاً.

(٤) الشاعر: هو مكيّ بن سَواده البرجمي البصري (انظر معجم الشعراء ٤٧١).

(٥) سحبان ودغفل من خطباء العرب المعروفين، ترجم لهما القيرواني في زهر الآداب ٢ / ٨٨٤ ـ ٨٨٥.

ترى خُطباءَ الناس عند ارتجالـه
كأنهم الكِرْوان[1] عـايَنَّ أجدَلا »[2]

وقـال بعضُ نُقّاد الكـلام: «جَمِاعُ البـلاغة حُسن المـوقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخَرَق، بما التبَسَ من المعاني، أو غَمَضَ بما بَعُد من القول أو شرد»[3].

وقال بعضهم[4] في تقدير الكلام وترتيبه: «ليكن صدر كلامك دليلاً على حاجتك، كما أنَّ خيرَ أبياتِ الشعر ما إذا سمِعتَ صدرَه عرَفْتَ قافيتَه، مثال ذلك: أن تفرق بين صدر خطبة النكاح، وبين صدر خطبة الصلح، حتى يكون لكل فنٍّ من الفنون صدرٌ يدلّ على عجزه، وأولٌ يشير إلى آخره»[5].

وقال أَعرابيٌّ في دعائه: «اللّهمّ إني أعوذ بك من فقرٍ مُكبٍّ، وضَرَعٍ إلى غير محبّ»[6].

وقال بليغ: «بقدر السموِّ في الرفعة، تكون الوَقْعَة»[7].

وقـال بعض الخطاب: «لا يكن حبُّـكَ كَلَفاً، ولا بُغضُـك تلَفاً»[8].

---

(١) الكروان: ذكر الحُبارى، والأجدل: الصقر.
(٢) البيان والتبيين ١ / ٣٣٩ - ٣٤٠.
(٣) المصدر السابق ١ / ٨٨.
(٤) هو ابن المقفع.
(٥) البيان والتبيين ١ / ١١٦ وزهر الآداب ١ / ١٠٥.
(٦) لم أعثر عليه.
(٧) لأفلاطون في لباب الآداب ٤٥٠.
(٨) لعثمان بن عفان (رض) في التبيان لابن الزملكاني ١٧٢ ولعمر بن الخطاب (رض) في نهاية الأرب ٧ / ١١٣.

وذمَّ أَعرابيٌ رجلاً فقال: «كان صغير القَدْرِ، قصير الشِّبْر، لئيم النَّجر، كثير الفخر[1]»[2].

وسمع الحسن بن علي أن نافع بن جبير قال: «كان معاوية يسكته الحلم، وينطقه العلم، فقال: بل يسكته الحصر، وينطقه البَطر»[3].

وقال بليغٌ: «من عَرَفَ النَاسَ داراهم، ومن جَهِلهم ماراهم»[4].

وقال علي بن أبي طالب: (هل من خَلَاصٍ، أو مَنَاصٍ، أو فِرَارٍ، أو مَحَارٍ أو منجأ، أو ملجأ، أو مَعَاذٍ، أو مَلَاذ»[5].

وقال رجلٌ لآخر: أتعرفني؟ فقال: «أعرفك كثير السعاية، قليل النكاية»[6].

وقال المُهلَّب لمالك بن دينار:[7] «أتعرفني؟ فقال: نعم، أنت الذي أوله نطفةٌ مذِرة[8]، وآخره جيفةٌ قذرةٌ، وهو فيما بينهما يحمل

---

(١) في س: كثير الضجر.

(٢) البيان والتبيين ١ / ٢٨٤ والبصائر والذخائر ٢ / ٢١٧.

(٣) سر الفصاحة ١٦٩.

(٤) لباب الآداب ٤٢٩.

(٥) نهج البلاغة ٩٤، والمحار: المرجع إلى الدنيا بعد فراقها، ولا توجد فيه (أو منجأ أو ملجأ).

(٦) الفاضل للوشّاء ٢ / ٤٩ والبيان والتبيين ٢ / ١٠٧.

(٧) مالك بن دينار البصري كان عالماً زاهداً مشهوراً بالصلاح والوعظ وتوفي بالبصرة سنة ١٣١ (انظر وفيات الأعيان ٤ / ١٣٩).

(٨) المذرة: البيضة الفاسدة.

العَذِرة[1]. فقال: لقد عرفتني حق المعرفة»[2].

ووصف أَعرابيٌ ناقةً فقال: «هي كالعقرب إذا هوت، والحيّة إذا تلوّت، تطوي الفلاة وما انطوت»[3].

وقيل للأَحنف: كيف تسود الناس؟ فقال: «بالخُلُقِ السّجيح، والكفِّ عن القبيح»[4].

وقيل لبنت الخُسّ[5]: «أيُّ الرجال أحبّ إليكِ؟ فقالت: القريب الآمال، الواسع البال، الذي يُوفَد عليه ولا يَفِد»[6].

وقال كاتبٌ: (الشكرُ[7] وإنْ قلَّ، ثمنٌ لكلِّ نوالٍ وإنْ جَلَّ)[8].

وقيل لبعضهم: «أيُّ إخوانك أوجبُ عليكَ حقاً، فقال: الذي يَسُدُّ خَللي، ويَغفِرُ زَلَلِي، ويقبَلُ عِلَلي»[9].

وأوصى حكيمٌ رجلاً فقال: «سائل العلماء، وجالس الحكماء، وخالط الحلماء. فإنَّ مجالستهم غنيمةٌ، وصحبتهم سليمة، ومؤاخاتهم كريمة»[10].

---

(١) العذرة: الغائط.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ٣ / ٢٧٧.

(٣) الصناعتين ٨٦ وفيه: عُقاب إذا هوت.

(٤) البيان والتبين ٢ / ١١٥.

(٥) هند بنت الخُسّ الإيادية، اشتهرت بالفصاحة والحكمة ولها أجوبةٌ كثيرة في مواضع متفرقة من أمالي القالي.

(٦) البيان والتبيين ١ / ٣١٢ وفيه: القريب الأَمد الواسع البلد.

(٧) هامش في ظ: عند الكريم.

(٨) القول لعثمان بن عروة الزبيري في البيان والتبيين ١ / ٣٢٧.

(٩) القول لخالد بن صفوان في عيون الأخبار ٣ / ١٧.

(١٠) لم أعثر عليه.

وخرج شبيبُ بن شيبة[1] من دار الخلافة، فقيل له:

كيف رأيتَ الناس؟ فقال: «رأيتُ الداخلَ راجياً، والخارج راضياً»[2].

وقيل لصعصَعة بن معاوية[3]: هل كان من مطر؟ قال:

(نعم حتى عفَّى الأَثر، وأنْضَر الشجر، ودهده الحجر)[4].

وسأل الحجّاج رسولَه الراجع من السِّند إليه عنها، فقال:

«ماؤها وَشَلٌ، ولِصُّها بَطَلٌ، وتَمْرُها دَقَلٌ[5]، إنْ كثُر الجيش بها جاعوا، وإن قلُّوا ضاعوا»[6].

ووصف بليغٌ منطقاً فقال: «هذا كلامٌ يُكتفى بأُولاه، ويُشتفى بأُخراه»[7].

---

(١) هو شبيب بن شيبة الاهتمي التميمي البصري خطيب فصيح كان قريع خالد بن صفوان ومن مقربي الخلفاء وعرف برعايته للمساكين وتوفي سنة ١٧٠ هـ (الأعلام ٣ / ٢٢٩).

(٢) البيان والتبيين ١ / ٣٥٢

(٣) صعصعة بن معاوية التميمي من وجوه تميم وفرسانها كان موالياً لآل مروان وشارك في محاربة الزبيريين (تاريخ الطبري ٦ / ١٥٢).

(٤) في البيان والتبيين ١ / ٢٨٥ وفيه (ودهدى الحجر).

وفي هامش ظ أنّ أول هذا الكلام يدل على أول الربيع وأوسطه على أوسطه وآخره على آخره.

(٥) الدقل: الرديء من التمر.

(٦) البيان والتبيين ١ / ٢٨٥ وفي عيون الأخبار ٢ / ١٩٩ جواب رجل لعمر بن الخطاب وقد سأله.

(٧) العقد الفريد ٢ / ٢٧١ لرجل من طي، ولباب الآداب ٣٤٦ لعمرو بن عتبة.

وقال الجارود بن أبي سبرة[1] (سوءُ الخُلق يُفسِد العمل، كما يفسد الخَلُّ العسل)[2].

وقال بليغٌ: (ليس بكريم من لم تُذهب القدرةُ حفيظَته، والبلوى ضغينتَه)[3].

ووصف أَعرابي حرباً فقال: «أَوّلُها شكوى، وأوسَطُها نَجوى، وآخرُها بلَوى»[4].

ووصف أَعرابيٌ رجلاً فقال: «ما رأيتُ أَضربَ لمثلٍ، ولا أركَبَ لجملٍ، ولا أَصعَدَ في قُللٍ منه»[5].

وقال عمر بن عبد العزيز: «إنَّما هلك مَنْ كان قَبلكم بمنعهم الحقَّ حتى يُشترى، وبسطهم الظلمَ حتى يُفترى»[6].

وقال الخُـسُّ لبنته: أريدُ شراءَ فحلٍ للإبل، فقالت: «ليكن أَسجَحَ الخدين، غائر العينين، أرقَبَ، أحزم، أعكى، أَكوم، إنْ عُصِيَ غَشَم، وإن أُطيع تجرثَم»[7].

---

(1) الجارود بن بن عتبة بن أبي سبرة الهذلي البصري المحدّث، توفي سنة ١٢٠ قال الجاحظ في البيان والتبيين ١ / ٣٣٠ (كان راوية علاّمة شاعراً مُفْلِقاً).

(2) البيان والتبيين ١ / ٣٤٥.

(3) لم أعثر عليه.

(4) البيان والتبيين ١ / ١٥٨ والقول منسوب لعنترة في العقد الفريد ١ / ٩٤.

(5) البيان والتبيين ١ / ٢٨٥.

(6) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٢٠٧.

(7) البيان والتبيين ١ / ٣٢٤ وفسر الجاحظ كلمات النص بقوله: أسجح، سهل واسع، أرقب: غليظ الرقبة، أحزم: منتفخ المحزم. أعكى: شديد الوركين. أكوم: عظيم السنام، عُصِي غشم: إذا عصته الناقةُ غصبها نفسها، تجرثم: أي بقي، تصفه بالصبر والقوة على الضراب.

ولما سُئِلتْ عن إلفِها الغلام، قالت: «طول السِّواد، وقرب الوِساد»[1] .

الـدلالات على المعاني[2] :

وجميعُ أصناف الدَّلالات على المعاني من لفظٍ وغير لفظ، خمسة أشياءَ، لا تنقُص ولا تَزيد: اللفظ، والإشـارة، والعَقد، والخَطّ، والنِصبْـة[3] ، وهي الحال الـدالّةُ التي تقـوم مقامَ تلك الأصنـاف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبتها وحليةٌ مخالفة لحلية أُختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، وعن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصّها وعامّها، وعن طبقاتها في السّارّ والضارّ، وعما يكون لغواً بهرجاً، وساقطاً مُطَّرَحاً.

فضـل الكتابـة:

وأنا ذاكرٌ لك بعض الرواية في مدح الكتابة ونعت آلاتها، وما يحتاج الكاتب أن يأخذ نفسه به فيها، ويستعمله في أحكامه وبحوثه، من العلوم التي بها قِوامها ونظامها، ومنها موادها، وعليها اعتمادها.

قال أَحدُ الحكماء المنطقيين، وزعماء الخطابة، وفرسان

(١) البيان والتبيين ١ / ٣٢٤، والسِواد بكسر السين مصدر ساوده إذا ساده.

(٢) نقل المؤلف هذا الكلام بحروفه عن الجاحظ (انظر البيان والتبيين ١ / ٧٦).

(٣) قال صاحب العقد الفريد ٤ / ١٨٨: وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف لفظ وإشارة وعَقد وخط. وذكر أرسطو صنفاً خامساً في كتاب المنطق وهو الذي يسمى (النصبة) وهي الحال الدالّة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة.

الكلام: إنَّ الله جعل للكتابة حظاً بارزاً، ومكاناً ظاهراً، ومحلاً بادياً، تدركه الأبصــار بالرؤ ية، وتراه العيون بالإبصار، وتناله المشاعرُ بالاشتمال، يكون عند النسيان مرجعاً، ولمن عدمَ ثقافة الـذكاء مكـرَّاً، وعند عـوارض العلل مآبـاً، ثم سماه بـأحسن تسميـة، وحلاّه بأَجَلٍ رتبة، فسمّاه بالعربية عقلاً، وجعل ذلـك له شـرفاً وفضلاً. فذلك تأويل الكتاب عند العلماء، وتفسيره لدى الحكماء، الذين يتأملون مخارجَ التدبير، ويتفقدون إصابة التقدير، فتجمل في صدورهم حكمة الخلّاق العليم، ويعلو في أَعينهم آثارُ صنع المقتدر الحكيم. فتأخذ في أفئدتهم محبَّة أمره، ويستولي عليهم رفقُ معادن حكمته، والشغف بظاهر نوره، وسمّى مَنْ أَهَّله له عاقلاً، وبالفارسية دوفير[1]، أي ذو كتابة، ثم جعله نوراً يُستضاء به، ودليلاً يُعتمد على هدايته، وشاهداً يُسكن إلى عدالته، وصوتاً يبلغ الآفاق في غير اشتراك من الكلّ في استماعه، يسمع به النائي البعيد محلّه، ويستر عن الداني القريب قربه، وسهماً صائباً لغرضه في غير تجـرمٍ للمتوسطات دونه، ومصاحباً يدرك به الكاتبون ما استتر على الأميين، وهم في الحضور مشتركون، ولما حضر منه مشرفون، وحـارساً لحقوق المستحقين، وديون الغارمين، من مُقْرَضٍ أمهل، ومُبَايع أَجِّل، ومُتَاجِر أَخَّر، هي مخاطبة غيبية، ومناجاة خفية، ومراسلة عقلية، وأَدعية حسّية، مع دلالتها على الصانع الحكيم، الذي جعل بين حظوظ العالمين، على أبد الآبدين، فروقاً مُميّزة، وفصولاً مُبيّنَة، كاختلاف ألسنتهم وألوانهم، وافتـراق صورهم وأبـدانهم.

---

(١) هامش ظ: أي ذو خاطرين.

فسبحان من ليس لقدرته شَبَهٌ، ولا يُدرك لحكمته كُنْهٌ، وهو بكل شيءٍ عليم.

ووجدنا هذا العلم الذي هو إناءُ الحق ووعاؤه، وخَلفُ الأشياء والبدل منها، وصورُ الأُمور ومثالُها، محصَّلاً [بالخطِّ][1]، محفوظاً محروساً بالعقل، مجدَّداً بالذِكر، مُستَرجَعاً بالتذكر، مُستَنبَطاً بالتفكر، مقبولاً بالفهم، مُتَلَقَّناً بالذكاء، مُستَحضَراً بالذهن. رابياً بالتعهد، مُدرَكاً بالطلب الذي يدعو إليه الانتياب[2]، ويحدو عليه الحرص، وتنتجه العناية، وتأمر به الألباب، وتثمّره السعادة، ويجمع أمره التوفيق، ووجدناه كثير الآفات عند الأعداء[3]، مستجمع الأضداد، حاضر الإنداد[4]، فالنسيان يذهب به، والشغل يحول دونه، والوَنْية[5] تقعده، والفتور يفنيه، والرَّيْن[6] يعمّي على رؤيته، والفدامة[7] تثبط عن دركه، والإضرابُ[8] يعفّي سبيله، والأمراض تنهك آلته، والعلل تخرب محله، والبطالة تخلّ به والشيطان يُصدُّ عنه، والأمَّارةُ بالشرّ تُعمي الطريق إليه، وملاك الأمر فيما تأخذ به نفسك في إراغة المعاني ومساواة الألفاظ، ورياضة الطبع في تخيّر الكلام، واستعمال القريحة في اختلاف غُرَر الألفاظ، ليتكامل

(١) في ظ: بالحفظ، والتصويب من س.

(٢) الانتياب: المعاودة.

(٣) كذلك في ظ وس، وربما كان صوابها (الأعداد).

(٤) الإنداد: الشرود والابتعاد.

(٥) الونية: البطء والتمهل.

(٦) الرَّيْنَ: الطبع والدنس والصدأ، وران على قلبه: غطّاه وختم عليه.

(٧) الفدامة: الغباء وقلة الفهم.

(٨) الإضراب: الإعراض. وهي هنا بمعنى الشطب والإزالة.

حظُكَ من الدربة، ويقوى مضاؤك في مذاهب البلاغة، فقد قيل: «إنَّ رأس الخَطابة الطبع، وعمودُها الدربة، وجناحها رواية الكلام، وحَليُها الإعراب، وبهاؤُها تَخيُّر الألفاظ، [والمحبة][1] مقرونةٌ بقلّة الاستكراه»[2].

البلاغة عنـد الهنـود:

وقد حكى عمرو بن بحر عن أبي الأشعث[3]، أنَّه قال: قلتُ لبهلة الهندي، أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند إلى خدمة دار السلطان، ما البلاغة عند الهند؟ قال بهلةُ: عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكن لا أُحسن ترجمتها، ولم أُعالج هذه الصناعة فأَثق من نفسي بخصائصها، وتلخيص لطائف معانيها.

قال أبو الأشعث: فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فإذا فيها: «أول البلاغة، اجتماعُ آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخيِّر الألفاظ، لا يكلم سيد الأمَة بكلام الأمَة، ولا الملوك بكلام السوقة. ويكون في قوله فضل للتصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ويصفّيها كل التصفية، ويهذّبها غاية التهذيب. ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً أو فيلسوفاً عليماً. ومَنْ

---

(١) في ظ : المحنة، والتصويب من س. والبيان والتبيين.

(٢) القول لأبي داود بن حريز في البيان والتبيين ١ / ٤٤ وزهر الآداب ١ / ١٠٧، والصناعتين.

(٣) هو أبو الأشعث معمر بن عباد السلمي المعتزلي أستاذ أبي الحسن المدائني وأبي بكر الأصم، توفي سنة ٢١٥ (ابن النديم ١٤٧ ولسان الميزان ٦ / ٧١).

قد تعود حذف فضول الكلام، واسقاط مشتركات الألفاظ، ومن قد نظر في صناعة المنطق، على جهة الصناعة، لا على جهة الاعتراض والتصفح، ولا على جهة الاستطراف والنظر، واعلم أنَّ حقَّ المعنى أن يكون الاسم له طبقاً، وتلك الحالة له وفقاً، ويكون الاسم لا فاضلاً ولا مقصّراً، ولا مشتركاً ولا مضمّناً، ويكون[1] مع ذلك ذاكراً لما عقد عليه أول كلامه، ويكون تصفّحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده، ويكون لفظه مُونِقاً، وللقول في تلك المقامات معاوداً.

ومدارُ الأمر على إفهام كل قومٍ بقدر طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تواتيه آلتُه، وتتصرف معه أَداتُه، ويكون في التُّهمة لنفسه معتدلاً، وفي حُسن الظنّ بها مقتصداً. فإنَّه إنْ تجاوزَ الحقَ في فقدان حُسن الظن، أودعها تهاون الآمنين، ولكل ذلك مقدارٌ من الشغل، ولكل شغلٍ مقدارٌ من الوهَن. ولكل وهنٍ مقدارٌ من الجهل»[2].

وقال بعض بلغاء الهند: «جِمَاع البلاغةُ: البصرُ بالحُجّة، والمعرفةُ بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر بالحُجّةِ أن يدفع الإفصاحُ بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح بها أوعرَ طريقةً، وربما كان الإضرابُ عنها صفحاً، أبلغَ من الدَّرَك، وأحقَّ بالظَّفَر»[3].

---

(١) ويكون : أي الخطيب.

(٢) البيان والتبيين ١ / ٩٢ ـ ٩٣ وعيون الأخبار ٢ / ١٧٣ ووقف العسكري عند هذه الصحيفة طويلاً وشرحها شرحاً مفصلاً في الصناعتين ٢٥.

(٣) البيان والتبيين ١ / ٨٨.

وقال مَرَّةً: «جماعُ البلاغة: التماسُ حسن الموقع، والمعرفةُ بساعات القول، وقلةُ الخَرَقِ بما التبَسَ من المعاني، أو غَمضَ بما شرد عنك من اللفظ وتعذر»[1].

أقوال في البـــلاغة:

وقـال الأصمعي: «البليغُ من طَبَّقَ المَفْصِـــل، وأغنـاك عن المُفسَّر»[2].

وقيل للعَتَّابي[3]: ما البلاغةُ؟ فقال: «كلُّ مَنْ أفهمك حاجته من غير إعادة، ولا حُبْسَة ولا استعانة، فهو بليغ.

فإن أردتَ اللســـان الذي يروق الألسنة، ويفوت كلَّ خطيب، فإظهارُ ما غَمُضَ من الأمر، وتصويرُ الباطل في صورة الحق»[4] وأعلم أسعـدك الله أنَّه لا يتسـع جريُـك في مضمار البـلاغـة، وإن كانت القريحةُ في نهاية الذكاء والثقافة، إلَّا بالاتساع في دراسة العلوم، والافتنان في الآداب، وحفظ مجامع اللغة، والنظر في أحكام الكتاب والسُنّة، لتتفقه في لحن المنطق، وتتفسح في معرفة الألفاظ، فلا تبدع في بداهة، بل تتجول في خطاب أو كتاب ابتداءً أو جواباً عزوب لفظ من اللغة، او استعجام غريب من القول عليك،

---

(١) المصدر السابق ١ / ٨٨.

(٢) البيان والتبيين ١ / ١٠٦.

(٣) كلثوم بن عمرو التغلبي: كاتب مترسل وشاعر مجيد، شامي سكن بغداد واتصل بالعباسيين والبرامكة وله تصانيف مؤلفة وكلمات مأثورة وتوفي سنة٢٢٠(الاعلام ٦ / ٨٩).

(٤) البيان والتبيين ١ / ١١٣ والعمدة ١ / ٢١٦ وزهر الآداب ١ / ١٠٦

فيكتنفك من الحصر ما اكتنف عمرو بن مسعدة[1] عند مجادلة الحائك إياه، فإنّه حكى يوسف بن حمّاد[2] قال: سمعت عمرو بن مسعدة يقول: كنت مع المعتصم[3] مقدمه من الثغر، فلمّا بلغنا الرَّقّة، قال لي: يا عمرو ألا تعجب من داود بن سليمان الرجحي[4] بالأهواز وفي بيت المال ونيله الدنيا، عنده أموال مجتمعة، وقد كتب إليَّ بأشياء، لا يُعذر مثلُه في مثلها، فاخرج إليه حتى تحمله في الحديد وتنقل ما قبله من المال.

محاورة الحائك لعمرو بـــن مسعدة: [5]

فخرجتُ فبينما أنا أسيرُ بين جَـرْجَرَايـا[6] والجبل في وقت

---

(١) هامش في ظ: طبقات الكتّاب المشاهير: عبد الحميد وابن العميد وأحمد بن يوسف واسماعيل بن صُبيح وعمرو بن مسعدة.

(٢) لم أجد له ترجمة، والمحاورة مذكورة في العقد الفريد ٤ / ١٧٥ نقلاً عن عثمان بن سعيد، وأغفل القلقشندي ذكر الراوية في صبح الأعشى ١ / ١٤٢.

(٣) في الإمامة والسياسة ٢ / ١٥٨ مع الرشيد.

(٤) في صبح الأعشى والعقد الفريد: عمر بن الفرج الرُّخَّجي.

(٥) هذه المحاورة مذكورة في الإمامة والسياسة ٢ / ١٥٨ والعقد الفريد ٤ / ١٧٥ والفرج بعد الشدة ١ / ٢٤٠ وصبح الأعشى ١ / ١٤٢.

(٦) جــرْجَـرَايا: بلدة من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي (معجم البلدان ٢ / ٥٤).

وفي س وبقية المصادر التي ذكرت هذه المحاورة (بين دير هزقل ودير العاقول)، وهو تحديد غريب جداً للمكان فالديران متباعدان جداً، أولهما بين البصرة وعسكر مكرم (من نواحي خوزستان) وثانيهما بين المدائن والنعمانية، وليس معقولاً أن يحدد عمرو بن مسعدة مكان سيره آنذاك برقعة شاسعة من الأرض كهذه ممتدة بين وسط العراق وجنوبه (انظر معجم البلدان ٢ / ٦٧٦، ٧٠٦).

الهاجرة في زلال[1] فيه خيشٌ وثلج، سمعتُ صائحاً يُنادي، يا ملاح، صوتاً بعد صوت، فلما كثر ذلك عليَّ رفعتُ سجف الزلال، فإذا أنا بشيخ حاسر الرأس، حافي الرجل[2] على الشطّ، فحملتُه، فلما دعوتُ بالطعام دعوته، فأكل أكلَ متأدبٍ، فلمّا رُفع الطعامُ، قدّرتُ أنَّه يقوم كما يقوم العامةُ من موائد الخاصة، فلم يفعل، فاستحمقتُه فقلتُ: ما صناعتُكَ؟ فقال: حائكٌ، أعزكَ الله.

ثم قال: وأنتَ أيّ شيءٍ تعمل؟ جُعلتُ فداك.

قلتُ : كاتب، فقال: أصلحكَ الله من أيّ الكُتَّابِ أنتَ فإنهم خمسةُ أصناف.

قال عمرو: فوردتْ عليَّ منه طامةٌ، ثم قلتُ: سَمِّهم فقال: كاتب خراج، وكاتب رسائل، وكاتب حاكم، وكاتب جُند، وكاتب معونة.

أمَّا كاتب الخراج،فيحتاج إلى أن يكون عالماً بالطسوق[3]، والمساحة والمقايسات، خبيراً بالحساب.

وأمَّا كاتب الرسائل، فأن يكون عارفاً بالأصول والفروع والفصول والوصول، حاذقاً بالأعجاز والصدور، والفتوح والعهود.

وأمَّا كاتب الحاكم،فأنْ يكون عالماً بالأحكام حافظاً للشروط، حاذقاً باختلاف الناس، في الأموال والفروج.

---

(١) نــوع من السفــن.

(٢) في س : الرجليـــن.

(٣) الطسوق : جمع طسق: ضريبة من ضرائب الأرض.

وأمّا كاتب الجُند، فأنْ يكون عالماً بشيات[1] الخيل وحُلي الرجال.

وأمّا كاتب المعونة، أي الشرطة، فأنْ يكون عالماً بالقصاص والجراحات والحدود.

فقلتُ له: فإني كاتبُ رسائل. فقال لي: أخٌ من إخوانك واجبُ الحق عليك، تزوجتْ أُمُّه، كيف تُهَنِئُهُ؟ [ففكرتُ ساعةً ولم يتجه لي شيءٌ فقلتُ: لا أُكاتبُه لأنَّه بالمصاب أشبه، فقال: فعَزِّه إذن][2] ففكرتُ ساعة فلم يجئني فيه شيءٌ، فقلتُ له: أَقلني من هذا الفنْ، فإني كاتب خراج.

قال: فإنَّ سلطانكَ بعثك على ناحية، وتقدم إليك بالعدل والإنصاف، وأَمَرَكَ أنْ لا تدع شيئاً من حق السلطان يضيع، وحذرَكَ أن تُشكى، فأَخرجتَ عمالك، وتقدمتَ إليهم بالعدل، وحذرتَهم أنْ يُشكوا، فقدم عليك أهلُ الناحية يشكون عمالك، فأشخصتَهم وسألتَهم عن ذلك، فحلفوا بالله لقد أنصفوهم، ولقد خشوا أن يكونوا جنفوا[3] على السلطان، فخرجتَ إلى العمل بنفسك ناظراً، فوقفوا بك على قراح[4] لأن تمسحه، كيف تمسحه؟ ففكرتُ ساعةً وتجاسرتُ في الجواب فقلتُ: آخذُ وسطه ثم آخذ طوله فأضربه فيه، فقال: تختلف عليك العطوف. قلتُ: آخذ طوله وعرضه من

---

(١) الشيات: العلامات، جمع شية.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من س.
(٣) في ظ: جافوا، والتصويب من س، وجنفوا على السلطان: جاروا عليه.
(٤) القراح: الأرض الجرداء.

ثلاثة مواضع، فقال: إنَّ طرفيه محدّدان، وفي تحديدهما تقويس، ففكرتُ ساعةً وأعياني الجوابُ، ولم يتجه لي فيه شيءٌ، فقلتُ له: أَقلني من هذا الفن، فإنّي كاتبُ قاضٍ. فقال: إنَّ رجلاً أحبلَ حرّةً له وسرّية فولدتا في ليلة واحدة، فولدت الحرّة جاريةً، والسرّيةُ غلاماً، فحملت الحرةَ الغيرةُ إلى أن حوّلت الابنَ إلى مهدها، والبنتَ إلى مهد السرّية، فتحاكمتا إليك، ما كنتَ تقضي بينهما؟ فقلتُ: لا علم لي بذلك، أنا كاتبُ جُندٍ. قال: فإنَّ رجلين تقدما إليك من أهل عسكر واحد، سهمهما واحد، ذا اسمه أحمد وذا [اسمه](1) أحمد، هذا مشقوق الشفة العليا، وهذا مشقوق الشفة السفلى، كيف تُحلّيهما؟ قلت [أكتبُ لهما أحمد الأعلم وأحمد الأعلم](2) قال: إذن يأخذ ذا رزقَ ذا، وذا رزقَ ذا، فتقع بينهما في حيرة، فتفكرتُ ساعةً فلم يتجه لي فيه شيءٌ، فقلتُ: لا علمَ لي بذلك، أنا كاتبُ شرطة(3). قال: فإنَّ رجلين تقدما إليك، أحدهما قد شُجَّ مُوضَحَةً(4)، فوثبَ عليه المشجوجُ فشجَّه مأمُومَةً(5)، كم تجعل بينهما من الإبل؟ قلتُ: لا أدري، فقال: فلستَ كاتب شرطة. فقلتُ: ففسّر لي ما قلتَ؟ قال: حباً وكرامة.

أمّا الرجل الذي تزوجتْ أمُّه، فالوجهُ أن تكتب إليه: إنَّ الأقدار

(1) ساقطة من ظ.

(2) في ظ: أكتب لهما الأعلم، وأكملنا النقص من س.

(3) هامش في ظ: أي ديوان المظالم والشحن وسمي ديوان المعونة أيضاً كما تقدم ذكره.

(4) الموضحة: التي تظهر العظام بعد شقّ الجلد واللحم.

(5) المأمومة: التي بلغت أمَّ الرأس، أي غارت حتى وصلت إلى داخل اللحم.

تجري بغير محابِّ المخلوقين، ولموتٌ في عافيةٍ، خيرٌ من شائنة في المُلك، والله يختار للعبد، فخارَ اللهُ لكَ في قبضها إليه، فإنَّ القبور [أكرم][1] الاكفـاء.

وأمَّا القراح فتمسح اعوجاجه، كم يكون قَصَبةً، ثم تضرب بعضه في بعض، فإذا استوى في يدك عقدٌ تعرفه، رجعتَ إلى المستوي فيه، فضربته فيه.

وأمَّا الحرّةُ والسرّيةُ، فإنَّه يُوزَن لبنُهما، فمَنْ كانت أخفَّ لبناً فالبنتُ لها[2].

وأمَّا الجُند، فيكتب: أحمد الأَعلم لمشقوق الشفـة العليا، وأحمد الأَفلح لمشقوق الشفة السفلى.

وأمَّا الشجّة: ففي المأمُومَة ثلاثٌ وثلاثون من الإبل وثلثٌ. وفي المُوضَحَة خمسٌ من الإبل، فيردَ عليه ثمانياً وعشرين وثلثاً.

قلتُ: ألستَ زعمتَ أنك حائكٌ؟ قال: نعم، ولكن أحوكُ الكلام. وإذا رجلٌ قد أدّبه الزمانُ وأحكمه العلمُ.

السـرقـات:

والمعاني ـ أسعدكَ الله ـ لُمعٌ، والألفاظ مشتركة، فمَن سبق إلى معنى ثم جاء بعده من يتعاطاه، فإنْ أخذه بلفظه كما هو، كان سارقاً، وإنْ أخذه ببعض لفظه كان سالخاً، وإن أخذه وكساه من

---

(١) سقطت من ظ.

(٢) في ظ: الابن، والتصويب من س وبقية المصادر التي ذكرت هذه المحاورة.

عنده، كان هو أولى به من الأول. ويُقال: إن أبا عُذرة الكلام مَن سبك لفظاً على معنى، لا من أخذ معنًى بلفظ، وقلّما تجد شعر شاعرٍ، أو رسالة كاتب، أو خطبة خاطب، إلّا وجدتَ فيه معنى مسبوقاً إليه، ولفظاً مشهوراً قبله، وقد قال أبو تمّام يصف ذلك:

يَقُولُ مَنْ تَقْرَعُ أَسْمَاعَهُ
كَمْ تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرِ[1]

فمن ذلك أن اسماعيل بن صُبيح[2]، كتب إلى بعض الأُمراء:

«في شُكرِ ما تقدَّم من إحسانك، شاغلٌ عن استبطاء[3] ما تأَخَّر منه»[4].

فأخذ هذا المعنى أحمد بن يوسف[5]، فقال في بعض كتبه: «أحقُّ مَن أثبتَ لك العُذرَ في حالِ شغلكَ، مَن لم يَخْلُ ساعةً من بِرِّكَ في وقتِ فراغك»[6].

ثم أخذه سعيد بن حُميد[7] فقال: «لست مستقلاً لشكر ما

---

(١) ديوانه ٢ / ١٦١.

(٢) ذكره صاحب الفهرست ١٢٦ بين البلغاء المعروفين ولم يترجم له، وذكر الجهشياري (١٥٠ - ١٦٦) أنه كان كاتباً ليحيى البرمكي وتقلد زمام الشام وما يليها، وذكر الجاحظ (رسائله ١ / ٣٤٩) أن يحيى البرمكي كان يتهمه بالحسد له.

(٣) في ظ: استنباط، وهو تصحيف، والتصويب من س وبقية المصادر.

(٤) في بديع أُسامة ٢٦٠ والصناعتين ٢٢١ لأحمد بن صبيح وفي زهر الآداب ١ / ٣٨١ لأبي علي البصير وفي المصون ٦٥ لاسماعيل بن صبيح.

(٥) تقدم التعريف به.

(٦) الصناعتين ٢٢١ والمصون ٦٥.

(٧) تقدم التعريف به.

مضى من أياديك[1]، فأستبطئُ دَرَكَ ما أُؤمّل من مزيدك»[2].

ثم أخذه حمد بن مهران[3] فقال: «لئنْ تعذّرَتْ حاجتي قِبَلَك، لطال ما تيسَّرَ لي أَمثالُها عندك، ولستُ أجمعُ إلى العجز عن شكر ما أمكنَ، التسرُّعَ إلى الاستبطاء فيما تعذر»[4].

وسلك هذه الطريقة أبو نواس فقال:

لا تُــحْــدِثَــنَّ إلــيَّ عــارفــةً
حتى أقُــومَ بشكْـرِ مــا سَلَفــا[5].

وقول أبي نواس أربى على جميع ما تقدم في أخذ هـذا المعنى، وسلك هذا الطريق من جهة أخرى الضريرُ[6] فقال: «وفدَ إليَّ أنَّكَ أصبت بشيءٍ من مالكَ، لو لم تُصب به لأسرعت النوائبُ إليه، وأتى كرمُك عليه»[7].

وكما أنَّه مطلقٌ لمن لطفَ في أخذ المعنى، فكذلـك هو محظورٌ على مَن لم يكن فيه آلة الأخذ أن يطورَ[8] به، لأنَّ الحاذق

---

(١) هامش ظ : بلائك.

(٢) بديع أسامة ٢٦٠ والصناعتين ٢٢١ والمصون ٦٥

(٣) في الفهرست ١٢٤ (حُميد بن مهران الكاتب من أصفهان وكان يكتب للبرامكة مدة حياتهم وله ديوان رسائل).

(٤) لحمد بن مهران في المصون ٦٥ ولأحمد بن مهران في البصائر والذخائر ١ / ٥١٥.

(٥) ديوانه ٤٣٣.

(٦) لم أعرف أي ضرير يعني.

(٧) لم أعثر عليه.

(٨) يطور به : أي يقترب منه.

والبارع يخفي دبيبه إلى الشيء حتى يستخرجه، والمتخلف البليد يظهر تسورَه على الأمر إذا أراده.

فضائــل اللســان:

اللسان هو ترجمانُ القلب، وأداةٌ يُدرك بها التأليف، ويُلتمس بها التقطيع، وبه يظهر ما يجنّه الفكر، وقيل في المثل: «المَرءُ مخبُوءٌ تحتَ لسانِه»[1].

ويقال: إنَّ رَوْح الحياة إذا كان ظاهراً كان جمالاً، وإذا كان باطناً، كان لساناً.

وقال علي بن عبيدة[2] «الألسنة [بريدُ][3] القلوب، يؤدي عن ضمائرها المنطق بألفاظ شرائع ما تستنبطه من الحكمة، واللسان كاشفٌ لما يخفيه الإغماض»[4].

وفي كتاب الموسيقى[5]: إن الانسان حَاسٌّ، والعقلَ لطيفٌ، وليس لفكرة العاقل غاية يدركها اللسان. ومع هذا فـإنَّ اللسان ترجمان، وليس للترجمان أن يبلغ منزلة المترجم.

وقيل: «اللسان عضوٌ فإنْ مرّنته مَرَن، وإن تركته حَرَن»[6].

---

(١) للإمام علي (رض) في البصائر والذخائر ١ / ٣٠٧.

(٢) علي بن عبيدة الريحاني أحد الفصحاء البلغاء الحكماء وكان كاتباً بارعاً وتوفي سنة ٢١٩ هـ وله مع المأمون صحبة وأخبار (تاريخ بغداد ٢ / ١٨).

(٣) ساقطة من ظ.

(٤) لم أعثر عليه.

(٥) من كتب الفارابي المشهورة.

(٦) العقد الفريد ٢ / ٢٧٠ والمحاسن والأضداد ١٨.

وللّسان فضائل معدومة في الجوارح، ودرجة عالية على درجاتها، لما خصّه الله به من استعماله في المنطق والبيان.

قال عمرو بن بحر: [1] «في اللسان خصال، هو أداةٌ، يظهر بها البيان، وشاهدٌ يُعبّر عن الضمير، وشافع تُدرك به الحاجة، وواصفٌ تُعرف به الأشياء، وقاضٍ بفصل الخطاب، وناطقٌ يُرد به الجواب، وواعظٌ ينهى عن القبيح، ومُعَزٍّ تُرَدّ به الأحزان، ومعتذرٌ يذهب بالضغينة، ومُلْهٍ يونق الأسماع، وزارعٌ يحرز المودة، وحاصدٌ يستأصل العداوة، وشاكرٌ يستوجب المزيد، ومازحٌ تُستحق به الزُّلفة، ومؤنسٌ يذهب بالوحشة، ومُزَينٌ، يدعو إلى الحسنى»[2].

تعريفات : [3]

الصوتُ : هو آلة اللفظ والذي به يبلغ السامع ما يدركه الفكر.

الفكرُ: هو مستنبط الحكمة، ومستثار الصوت، ومستوضح غوامض الأدلة. وكاشف ضباب الغفلة عن الأفئدة.

البيان : هو اسم لكل شيءٍ كشف لك قناع المعنى، وهتك حجب الضمير، وأبدى مكنونه.

المعاني: هي الحادثة بالذكر، المتُصوَّرَةُ للعقل، الجائلة في الفكر، وهي بعيدة وحشية، معدومة في حال، موجودة في أخرى ممتدة إلى غير غاية، مبسوطة إلى غير نهاية.

---

(١) هو أبو عثمان الجاحظ.

(٢) البيان والتبيين ٢ / ٧٥ مع اختلاف يسير.

(٣) أنظر هذه التعريفات في البيان والتبيين ١ / ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩.

البلاغة : هي أن يبلغ السامع أقصى نهاية المعنى الخاطر بقلبك، فتصوُّره لكَ كتصورِه عندك، بالإبانة عنه والافصاح به.

وقيل : «الفصاحة لمحةٌ دالة»[١].

وقال بعضهم : «البلاغةُ التقربُ من المعنى البعيد، والتباعدُ من حشو الكلام، ودنوّ المأخذ، وإيجازٌ في صواب، وقصدٌ إلى الحجة، وحسن الاستعارة»[٢].

وقال آخر: «البلاغةُ أنْ يُعرف الفصلُ من الوصل»[٣].

وقال ثُمامةُ بن الأَشرس[٤]: «قلتُ لجعفر بن يحيى: ما البلاغةُ؟ فقال: أنْ تكون تحيط بمعناك، وتحكي عن مغزاك، وتخْرِجُه من الشِّرْكة، ولا يستعين السامع عليه بطول الفِكرة. ويكون سليماً من التكلُّف، بريئاً من الصنعة، بعيداً من التقعير، غنيّاً عن التأويل»[٥].

أبواب الكلام :

وقال الحجّاجُ لابن القِرّيّة[٦]: ما الحرفُ وما الكلمةُ وما الكلام؟

---

(١) لخلف الأحمر في العمدة ١ / ٢٤٢، وقد مرَّ هذا القول سابقاً.

(٢) مرَّ هذا القول سابقاً منسوباً للرشيد في المحاورة بين أحمد بن يوسف والمأمون (سر الفصاحة ٢٠٠، وديوان المعاني ٢ / ٨٨).

(٣) البيان والتبيين ١ / ٨٨.

وفي هامش ظ : وقال أبو تمام : حدُّ البلاغة معرفة مواقع الفصل والوصل.

(٤) ثمامة بن أشرس النميري من كبار شيوخ المعتزلة وأحد الفصحاء البلغاء المقدّمين وكان مقرباً للرشيد والمأمون وتوفي سنة ٢١٣ هـ (الأعلام ٢ / ٨٦).

(٥) البيان والتبيين ١ / ١٠٦ وزهر الآداب ١ / ١٠٩ والصناعتين ٤٨.

(٦) أبو سليمان أيوب بن زيد الهلالي، كان أعرابيا أميًا وخطيبا مشهوراً والقِرِّيّة (بكسر =

فقال: الحرفُ فردٌ، والكلمةُ جماعةٌ، والكلامُ على عشرة أبواب: سبعةٌ فواتح، وثلاثةٌ جوامع.

فالفواتحُ: جرأةُ الصَدَر، وفقدان الحصَر، واتساق القول، وبيان الكلام، وقلة التنحنح، والقول متى شاء، والوقوف إذا شاء.

والجوامع: أنْ يشبه أول قوله آخره، ويختار حسن اللفظ، ويعرف قصّة[1] الكميّة.

وصف البلاغة:

وقال معاوية: «البلاغةُ كلامٌ يتحدر على الطبع، كما يتحدر الماء على الكبد الحرَّى، لا يُحمل الطبعُ فيه على غير مذهبه، فيظهر فيه نقيصة التكلف وعيب التخلق»[2].

عيوب المنطق:[3]

وقال قائلٌ: عيوب المنطق صنفان: صنفٌ مذموم، وصنفٌ خَلقيّة لا سبيل إلى الانتقال عنها، والمذمومات توجب الذمَّ إذا كان الإقلاع عنها إلى غيرها ممكناً. والخَلقية: كاللثغة واللفلفة والرُتَّة

= القاف وتشديد الراء المكسورة) إحدى جداته، وقد قتله الحجّاج سنة ٨٤، وقال أبو الفرج (ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم واشتهرت ولا حقيقة لهم ولا وجود في الدنيا وهم مجنون ليلى وابن القرّية وابن أبي العقب (وفيات الأعيان ١ / ٢٥٠ والأغاني ١ / ١٦٣).

(١) كذلك في ظ و س.

(٢) البصائر والذخائر ١ / ٢٦٦ شبيه بهذا الكلام ومقارب له لسهل بن هارون، ولم أجده لمعاوية.

(٣) انظر في هذا ما نقله الجاحظ عن الأصمعي في البيان والتبيين ١ / ٣٧ وما نقله ابن عبد ربّه عن المبرد في العقد الفريد ٢ / ٤٧٦.

والحُبْسة والحُكلة والفأفأة واللجلجة والتمتمة.

ومن فساد المنطق: فساد مخارج الصوت مثل البحّة وعدم اعتدال المخارج من الحلق والخياشيم والصدر، فاللثغة تكون في الراء تنقلب إلى الغين أو الياء أو الدال. واللفلفة أنْ لا يخرج الكلام إلاَّ بشِق الأنفس، والرُّتّة والحبسة واحد، والحُكلة كالبحّة حتى كأَنَّه يُسرّ كلامه، والفأفأة التردد في الفاء، والتمتمة التردد في التاء.

وقال عمرو بن بحر: «من عيوب المنطق: التصحيف، وسوء التأويل والخطأ في الترجمة، فالتصحيف يكون من وجوه: أحدها من التخفيف والتثقيل [وثانيها][١] من قِبَل الإعراب [وثالثها][٢] من تشابه صور الحروف. وسوء التأويل: يكون من الأسماء المتواطئة، وهو أنكَ تجدُ اسماً بمعانٍ فتُؤَولهُ بغير المراد، وكذلك سوء الترجمة. غير أنَّ الكلام المحتمل على المعاني يكون بالفارسية المنقولة إلى غيرها»[٣].

وقال العتّابي[٤] «الاستعانة من فساد الكلام.

فسُئِل عن التأويل فقال: إذا قال عند مقطع: يا هناه[٥]، واسمع مني، وافهم عني، وما أشبه ذلك، كلُّه عِيٌّ»[٦].

---

(١) سقطت من ظ.

(٢) سقطت من ظ.

(٣) لم أعثر عليه.

(٤) مرَّ التعريف به سابقاً.

(٥) الهن: كلمة يكنى بها عن الانسان وقد تزاد الألف والهاء فيقال للرجل: يا هناه (اللسان هنا).

(٦) البيان والتبيين ١ / ١١٣ والعمدة ١ / ٢١٦ وزهر الآداب ١ / ١٠٦.
وفي هامش ظ : وقيل فتل الأصابع والنكت على الأرض هو أيضاً من العِيّ.

القِسمُ الثاني

في بلاغة الشعر ونقده

الشّعرُ وَالبَديع :

ومن لُمع صناعة الشعر[1] للاردستاني[2]، وهو محمد بن أحمد، قال: وكانت العرب إنّما تفاضل بين الشعر لشرف المعنى، وجزالة اللفظ، وصحة المبنى، فتسلم السبق فيه لمن وصفَ فأَصاب وألطف، وشبَّه فسدّد، ولمن كثرت له سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات. ولم يكن يهتم بتتبع البديع إذا حصل له عمود الشعر، ونظام القريض، على أنّه قد كان منهم من يتعمد لتنقيح شعره، ويتعمل لتحسين ألفاظه وتشذيبها، وترصين مبانيه ومعانيه وتهذيبها، مثل زهير والأعشى والحطيئة وأبي صخر الهذلي[3]، وعدِي بن الرقاع وأبي المُثَلَّم[4] والخنساء وغيرهم. فإنَّ أثر الصنعة ظاهرٌ في أشعار هذه الطبقة، ودالٌّ على مقاصدهم فيها، وشاهدٌ بمعرفتهم بها، ويدلُّ على ذلك افتخارهم في أشعارهم بالتجويد، ووصفهم

---

(١) ذكر أسامة بن منقذ في مصادر كتابه (البديع ص ٨) كتابَ اللُّمع للعجمي، ورجح محققو الكتاب أنّه ربما كان كتاب (لمع الصناعة) للأَردستاني، وهو كتاب مفقود تفرد المؤلف بذكر هذا النص النادر من نصوصه.

(٢) في كشف الظنون ١٥٦٢ (لمع الصناعة، أي البديع، لمحمد بن أحمد الأردستاني المتوفى سنة ٤٢٤).

(٣) أبو صخر الهذلي عبد الله بن سلمة شاعر فصيح كان موالياً لبني مروان وتوفي سنة ٨٠ هـ (الأعلام ٤ / ٢٢٣).

(٤) أبو المُثَلَّم، شاعر هذلي من بني خناعة بن سعد بن هذيل، وكانت بينه وبين صخر الغي الهذلي مناقضات، وله قصيدة حسنة في رثاء صخر الغي عند وفاته (المؤتلف ٢٢٧ وشرح أشعار الهذليين للسكّري ١ / ٤٢٣).

لمصابرة القول ومكابدة السهر فيه، والتخيّر منه، والصبر على عرضه وعمله حَولاً، حتى قالوا: «خيرُ الشِّعر الحَوليُّ المنقحُ»[1]. يُروى ذلك عن الحطيئة، وقالوا: حوليات زهير. وقد ذكرت الشعراءُ ذلك في مفاخرهم، فقال سُوَيْدُ بن كُراع[2] يذكر تقويمه شعره وطول مصابرته له:

أَبيتُ بـأَبـواب القــوافي كـأنَّمـا
أُصادِي بها سِرباً من الوَحشِ نُزَّعَا
أُكـالِئُها حتى أُعَـرِّسَ بعـدمـا
يكـون سُحَيراً أو بُعيـداً فأَهجعـا
إذا خِفتُ أن تُـروى عليَّ رددُّتها
وراءَ التـراقي خشيةً أنْ تـطَلَّعا[3]

فأَخبرَ أنَّ القوافي تعتاصُ عليه، وأنَّه يكالئها ويكابدها ويسهر لها إلى أن تنقاد له.

وقال حارثةُ بن بدر[4]:

قبحَ الإلــهُ الإلفَ إلَّا مــا مضى
والشِعْــرَ بعـد مُـرَقِّشٍ ومُهلْهِـلِ

---

(١) للحطيئة في البيان والتبيين ٢ / ١٣ وفيه (الحوليّ المحكك).

(٢) سُويد بن كراع العُكلي شاعر فارس مقدّم كان زعيم عُكل زمن بني أمية وتوفي سنة ١٠٥ هـ (الأعلام ٣ / ٢١٥).

(٣) البيان والتبيين ٢ / ١٣.

(٤) حارثة بن بدر التميمي الغداني تابعي بصري، شارك في محاربة الخوارج زمن الأمويين، وتوفي سنة ٦٤ هـ (الأعلام ٢ / ١٦٢).

وأبــي دؤاد أو عـبـيــد كُـلّمـا
نطقُوا أَصابُوا فيه فصَّ المَفْصِلِ[١]

فمدحهم بالإصابة والتجويــد.

وقال عَدي بن الرقاع [العاملي][٢].

وقصيــدةٍ قــد بتُّ أجمــعُ بينَهــا
حـتى أُقــوِّمَ مَـيلَهــا وسِـنــادَهــا
نـظرَ المُثَقِّفِ في كُعـوبِ قَنــاتِـهِ
حتى يُقيـمَ ثِقَــافُــه مُـنــآدَهــا[٣]

فأَخبرَ أنَّه يعاود النظر ويكرره حتى يثقفه.

وقال عمرو بن هنــد[٤]:

فــإنْ أَهْلِكْ فقــد أبقَيتُ بعــدي
قــوافـيَ تُعـجب الـمُـتَـمـثـلـيـنــا
لــذيـذات المقــاطـع مُحكَمــاتٍ
لـو انَّ الشعــر يُلبَس لارتُدينــا[٥]

فلمَّا أَفضى الشعر إلى المحدَثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من

---

(١) شعراء أمويون، للدكتور نوري القيسي ٢ / ٣٦٠.

(٢) ساقطة من ظ.

(٣) البيان والتبيين ٣ / ٢٤٤ والموشح ١٣.

(٤) عمرو بن المنذر الملك وهند أمه، يسمى مضرط الحجارة والمحرّق، وقتله عمرو بن كلثوم (معجم الشعراء ١١)

(٥) البيتان في البيان والتبيين ١ / ٢٢٢ دون نسبة، ونسبا لابن ميادة في حماسة ابن الشجري ٢٣٧ وديوان المعاني ١ / ٨.

الغرابة والحُسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاءَ عليها، وسمّوها البديع، فمن مُحسنٍ ومسيءٍ، ومفرطٍ ومقتصدٍ.

أقسام البديع:

وهو ينقسم أقساماً، ويتشعب شُعباً.

فمنها: الطباق، والتجنيس، والاستعارة، والمقابلة، والإرداف، والموازنة، والمساواة، والوحي والإشارة، والمبالغة، والغلو، والإيغال، والتسهيم، وردُّ الكلام على صدره، وصحة التقسيم، والمماثلة، والترصيع، والتكميل، والتكافؤ، والسلب والإيجاب، والعكس والتبديل، والكناية والتعريض، والالتفات، والاستدراك والرجوع، والتذييل، والاستطراد، والتكرار، والاستثناء، والتصحيف، وبراعة الاستهلال، وبراعة التخلص، والترديد، والتتميم، وجمع المؤتلفة والمختلفة في بيت، والتبيين، والمذهب الكلامي، والتفويف، والتفريع، والتسميط، والتصريع، والتضمين، والقَسَم، والإعنات، وتجاهل العارف[١]، وهزل يراد به الجدّ.

الطباق: [٢]

فأمَّا الطباق: فهو أن يأتي الشاعر بالمعنى وضده، أو ما يقوم

---

(١) هامش في ظ: وسمّاه صاحب المفتاح: سوق المعلوم إلى غير المعلوم.

(٢) أنظر: بديع ابن المعتز ٢٤٧ والعمدة ٢ / ٥ وحسن التوسل ١٩٩ ونهاية الأرب ٧ / ٩٨ والتبيان لابن الزملكاني ٨١ وتحرير التحبير ١١١ وقواعد الشعر لثعلب ٥٦ والوساطة ٤٤ والصناعتين ٣٠٧ وسر الفصاحة ١٨٨ وأسرار البلاغة ١٤ والموازنة ٢٥٦ والجامع الكبير ٢١١ وأنوار الربيع ٢ / ٣١ ونقد الشعر ٥١ (وسماه التكافؤ) وبديع أسامة١٨ وحلية المحاضرة ١ / ١٤٢.

مقام الضد فيحسن جداً، وله شُعبٌ خفيةٌ، وشعاب غامضة، وربما التبست به أَشباهٌ لا تبين إلَّا للنظر الصائب، والذهن الثاقب، ومن أشهر أقسامه ما جرى مجرى قول زُهير:

ليثٌ بِعَثّــرَ يصـطاد الــرجـالَ إذا
ما الليثُ كَذَّبَ عن أَقرانه صَدَقا[1]

وقــول جــريــر:

وبــاسِطَ خـيــرٍ فيـكُمُ بـيمـيـنِـهِ
وقــابضَ شَــرٍّ عنكُمُ بشمــاليـا[2]

وقول طُفيل[3]:

يُصَانُ وهوَ ليَومِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ[4]

وقول دِعبــل:

لا تَعْجَـبي يــا سَـلْمُ من رَجُــلٍ
ضَحِـكَ المشِيبُ برأسِـه. فبكى[5]

وقول الآخر:

---

(١) شرح ديوانه ٥٤، وعَثَّر: مأسدة باليمن.

(٢) شرح ديوانه ٦٠٥.

(٣) طفيل بن عوف الغنوي شاعر جاهلي فحل فارس برع في وصف الخيل خاصة وكان معاصراً لزهير بن أبي سلمى (الأعلام ٣ / ٣٢٩).

(٤) شعر طفيل ٣٣٥، وصدره (بساهم الوجه لم تُقطع أبا جله).

(٥) ديوانه ١١٧.

خميصٌ من التَّقوى بطينٌ من الخَمْـر[1].

وقد يجيء منه جنسٌ آخر تكون المطابقة فيه بالنفي، كقول البحتري:

تُقيض لي من حيثُ لا أعلمُ النَّوَى
ويـســري إلـيَّ الـشــوقُ مـن حـيـثُ أَعْلَمُ [2]

لمَّا كان قوله: لا أعلمِ، كقوله أجهل، وكان أجهلُ مطَابقَة، كان الآخر بمثابته.

ومن أغرب أَلفاظه وألطف ما وجد فيه قولُ أبي تمام الطائي.

مَهـا الوَحْشِ إلَّا أنَّ هَـاتَـا أَوَانسٌ
قَنَـا الخطِ إلَّا أنَّ تلكَ ذَوَابـلُ[3]

فطابق بين هاتا وتلك، وأحدهما للحاضر والآخر للغائب، فكانا نقيضين في المعنى، وبمنزلة الضدين.

وسبيل الشاعر أنْ يتتبع فيه التقابل، وأنْ لا يجيءَ باسم مع فعل، ولا بفعل مع اسم، فإنَّ ذلك أذهب في الصنعة، وأَسلم في البِنية.

التجنيــس [4]:

وأمَّا التجنيس: فهو أنْ يأتي الشاعر بلفظتين في البيت إحداهما

---

(١) في نقد الشعر ١٦٤ لأم الضحاك المحاربية، وصدره (وكيف يسامي خالداً أو يناله).

(٢) ديوانه ٣ / ١٩٢٨.

(٣) ديوانه ٣ / ١١٦.

(٤) أنظر: بديع ابن المعتز ٥٥ ونقد الشعر ٦٠ والوساطة ٤١ والعمدة ١ / ٣٢١ =

مشتقة من الأخرى، يسمونه المُطَابَق، وهو أشهر أوصافه، وأكبر أصنافه، نحو قول أمرىء القيس:

لقد طمَح الطمَّاحُ من بُعْدِ أرضِه
لِيُلْبِسَنِي من دَائِــه مــا تَلبَّســا[1]

وقول الأَعشى:

وليلُ أبي لَيْلَى أمَــرُّ وأَعلَقُ[2]

وقول زهيــر:

كأنَّ عيني وقد سالَ السَّلِيلُ بهم[3]

وقول القطامــي:

مُستحِّقِبينَ فُؤَاداً مــا لَهُ فَادِ[4]

وقول الشَّنْفَري:

بريْحانَةٍ ريحَتْ عِشاءِ وعشاءً[5]

وقول رؤبة:

= والصناعتين ٢٢١ وسر الفصاحة ١٨٣ وأسرار البلاغة ٤ وبديع أسامة ٦ والتبيان ١٢٢ وحدائق السحر ٩٤ وأنوار الربيع ١ / ٩٧ والجامع الكبير ٢٥٧ ونهاية الأرب ٧ / ٩٠ وحسن التوسل ١٨٣ والأقصى القريب ١١١ والتحبير ١٠٢ وشرح مقامات الحريـري ٢ / ٢٢٥ وحلية المحاضرة ١ / ١٤٦.

(١) شرح ديوانه ٩٩.

(٢) ديوانه ١١٩، وصدره (نهار شراحيل بن طود يريبني).

(٣) شرح ديوانه ١٤٨ وعجزه (وعبرة ما همُ لو أنهم أممُ).

(٤) ديوانه ٧٩ وصدره (كنيَةِ القوم من ذي الغضبة احتملوا).

(٥) المفضليات ١١٠ وصدره (فبتنا كأنَّ البيت حُجِّر حولنا)

أَحضرتَ أهل حضرموتَ مَوتا[1]

فجانس في موضعين في بيت رجزٍ.

وقول جرير:

فما زال مَعقولاً عقالٌ عن النَدى
وما زال محبُوساً عن المجدِ حَابِسُ[2]

وقد يكون منه التجنيس[3] المُستوفى كقول أبي تمَّام:

ما ماتَ من كَرمِ الزَّمانِ فإنَّه
يحيا لدى يَحْيَى بن عَبْدِ اللهِ[4]

فجانس يحيا ويحيى لاختلاف المعنيين، لأنَّ أحدهما فعلٌ والآخر اسم، ولو اتفق المعنيان، لم يعدّ تجنيساً.

وكقول بشّار:

وإنِّيَ للثغرِ المَخُوفِ لكالىءٌ
وللثغر يجري ظَلمُهُ لرشوفُ[5]

ومنه التجنيس الناقص، كقول الأَخنس بن شهاب[6]:

---

(١) لرؤبة في الوساطة ٤٢ ولم أجده في ديوانه.

(٢) شرح ديوانه ٣٢٦.

(٣) هامش في ظ: سمي هذا وأخواته من الأمثلة اشتقاقاً لا تجنيساً، والتجنيس أنواعه ثلاثة عشر وهي مرتبة في كتابي الموسوم بدرة التبيان في علمي المعاني والبيان.

(٤) ديوانه ٣ / ٣٤٧.

(٥) وهم المؤلف في نسبة هذا البيت، وليس هو في شعر بشار وإنما هو لعبد الله بن طاهر في العمدة ٢ / ٣٢٣ ونهاية الأرب ٧ / ٩٠.

(٦) الأخنس بن شهاب التغلبي شاعر جاهلي من فرسان تغلب، شارك في حرب =

وحـامي لـواءٍ قـد قتلنـا وحـامـلٍ
لواءً منعنـا والسيــوفُ شـوارعُ[1]

وقول ابن مقبل[2]:

يَمشينَ مشي النقـا مَالَت جَـوانبُـه
يَنهال حيناً ويَنْهـاهُ الثَّرى حِينَـا[3]

وقول أبي تمام:

يَمُـدُّونَ من أَيْدٍ عَـوَاصٍ عَوَاصِمٍ
تَصُولُ بأَسْيافٍ قَواضٍ قَـوَاضِبِ[4]

وقول البحتري:

هـل لمَـا فـاتَ من تـلاَقٍ تَـلاَفِ
أمْ لشَـاكٍ مِنَ الصَّبَـابـةِ شَـافِ[5]

ومنه التجنيس المُضاف، كقول البحتري:

= البسوس وله شعر فيها وله قصيدة مختارة في المفضليات (الأعلام ١ / ٢٦٤).

(١) الوساطة ٤٣.
هامش في ظ : ليس هذا التجنيس الناقص بل هو التجنيس المطرّف.

(٢) تميم بن أُبي بن مقبل من بني العجلان شاعر جاهلي أدرك الإسلام فأسلم وهو من المعمّرين، وتوفي سنة ٢٥ (الأعلام ٢ / ٧١).

(٣) ديوانه ٣٢٦.
هامش في ظ: هذا تجنيس ناقص، فإنّه كالتّام إلاَّ في الإعراب.

(٤) ديوانه ١ / ٢٠٦.
هامش في ظ : ما هو التجنيس الناقص بل هو التجنيس الزائد.

(٥) ديوانه ٣ / ١٣٥٨.
هامش في ظ : وهو المطرّف.

أيـا قمـرَ التّمـامِ أَعَنْتَ ظُلْمـاً

عَليَّ تَـطاوُلَ الليـلِ التَّمَـامِ [1]

فجانسَ بقمر التمام وليل التمام، وكلُ واحد منهما موافقٌ للآخر في المعنى، ولكنَّ أحدهما صارَ مقترناً بالقمر، والآخر بالليل، وكانا كالمختلفين.

والتجنيس يزيد في رونق الشعر، ويُحلّي عاطل معانيه، وهو عنوانُ الفصاحة، وشاهدُ الاتساع في اللغـة، ودليلُ على تـوقد الذكاء، وجودة الذهن، ومسابقة الخاطر.

الاستعـارة: [2]

وأمّا الاستعارةُ: ففي نقل الكلمة عن شيءٍ قد وضعت له إلى شيءٍ لم توضع له. ولا تكون الاستعارة واقعة حتى تكون اللفظةُ المستعارةُ في الموضع الذي استعيرت له، أبلغَ من الحقيقة.

واستعارات الشعراء جمّةٌ، ومحاسنهم فيها كثيرةٌ، ومـذاهبُ المُحدَثين فيها خاصة طريفةٌ، فمنها قولُ زُهير:

وعُرِّيَ أفراسُ الصِّبا ورَواحِلُه [3]

---

(١) ديوانه ٣ / ٢٠٣٠.

هامش في ظ : هذا التجنيس ما قال به نحارير البلغاء.

(٢) انظر: الأقصى القريب ٤٠ وحسن التوسل ١٢٦ ونهاية الأرب ٧ / ٤٩ وتحرير التحبير ٩٧ ونقد الشعر ١٠٤ وأسرار البلاغة ٤٧ والتبيـان ٩ وبديـع ابن المعتز ١٩ والوساطة ٣٤ والعمدة ١ / ٢٦٨ والصناعتين ٢٦٨ وبديع أسامة ومفتاح العلوم ٦ / ١٩ وحدائق السحر ١٢٢ وأنوار الربيع ١ / ٢٤٣ وشرح مقامات الحريري ٢ / ٢٢٨.

(٣) شرح ديوانه ١٢٤، وصدره (صحا القلب من سلمى وأقصر باطله)

وقول لبيـد :

إذْ أصبحَتْ بيد الشَّمالِ زِمامُها[1]

وقول ابن الطَّثرِية[2] :

أخـذنا بـأَطـراف الأَحـاديثِ بيننـا
وسالتْ بأَعناقِ المطيّ الأباطحُ[3]

وقول جرير:

تُحْيي الـرَّوامِسُ رَبْعَهـا فَتُجِـدُّهُ
بعــدَ البِلَى وتُمِـيتُـهُ الأَمـطارُ[4]

وهذا البيت يجمع لطفَ الاستعارة، وشرفَ الطباق، لأنه جاء فيه بالإحياءِ والإماتة، والجدّة والبِلى.

ويستحسن من الأَشعار قولُ أبي حيَّة:[5]

وليَلةٍ مَـرِضَتْ من كـلِّ نـاحيـةٍ
فمـا يُضِيءُ بها نجمٌ ولا قَمَـرُ[6]

---

(١) شرح ديوانه ٢٣٠، وصدره (وغداة ريح قد كشفت وقرّة).

(٢) هو يزيد بن سلمة، والطثرية أمّة، شاعر أموي مطبوع، وكان شريفاً جواداً قتله بنو حنيفة سنة ١٢٦ (الأعلام ٩ / ٢٣٦).

(٣) شعره ٦٤.

(٤) شرح ديوانه ٢٠١.

(٥) أبو حيّة النميري هو الهيثم بن الربيع شاعر راجز مجيد فصيح، بصري من مخضرمي الدولتين وله مديح في الأمويين والعباسيين وتوفي سنة ١٨٣ هـ (الأعلام ٩ / ١١٤).

(٥) شعره ١٤٨.

(٦)

المقابلــة :[1]

وأمَّا المقابلةُ: فهي أن يضع الشاعرُ معانيَ يريد التوفيقَ بينها، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يَشترط شروطاً في أحد المعنيين، فيأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه، وفيما يخالفه بأضداد ذلك، كقول الجعدي:

فتىً كـان فيـه مـا يَسُـرُّ صـديقَـهُ
على أَنَّ فيه ما يَسـوءُ الأَعاديـا[2]

وقول تأبطَ شرّاً:

أَهُـزُّ بـه في نَـدوَةِ الحيّ عِـطْفَـه
كما هزَّ عطفي بالهِجان الأَوارِكِ[3]

وكقول الآخر:

أيـا عجَبـاً كيف اتفقنَـا فنـاصِــحٌ
وفيٌّ ومَـطوِيٌّ على الغِلِّ غـادرُ[4]

فجعل بإزاءِ ناصح مطوياً على الغلّ، وبإزاءِ وفيّ غادراً. وقد ذهبَ بعضُ الناس إلى أنَّ هذا طباق، وليس هذا كما ذهب إليه، وإنْ كان مناسباً له.

---

(١) انظر: العمدة ٢ / ١٥ وأنوار الربيع ١ / ٢٩٨ ونقد الشعر ١٥٢ وسمّاه (صحة المقابلات) ونقد الشعر ١٥٢ والصناعتين ٣٤٦ وحلية المحاضرة ١ / ١٥٢.

(٢) شعر النابغة الجعدي ١٧٤.

(٣) شعر تأبط شرا ٢٥.

(٤) ديوان كثيّر ٥٢٨.

الإرداف: [1]

وأمَّا الإردافُ: فهو أن يريد الشاعرُ دلالةً على معنًى، فلا يأتي باللفظ الدالّ عليه، بل بلفظ هو تابعٌ له وردِفٌ كقوله: [2]

بَعيـدةُ مَهوَى القُـرْطِ إمَّا لنَـوفَـلٍ
أبـوها وإمَّـا عبـدُ شَمْسٍ وهـاشِمُ

وإنَّما أَراد أنْ يصف طول جيدها فأتى بردفه، وهو بُعدُ مهوى القرط.[3]

وكقول امرىء القيس: [4]

ويُضحِي فَتِيتُ المِسْكِ فوقَ فِرَاشِها
نؤُومَ الضُّحى لم تَنْتَطِقْ عن تَفَضُّلِ

وإنَّما أرادَ أنْ يذكر تُرْفَةَ[5] هذه المرأة، وأنَّ لها مَنْ يكفيها، فلم يذكر ذلك وعدل إلى ذكر فتيت المسك، الذي يدلّ على أنَّها مُنَعّمةٌ، وأنَّها في خفضٍ من العيش وتُرْفَةٍ، وقد يُسمى التتبيع أيضاً.

المـوازنـة: [6]

وأمَّا الموازنةُ: فهي أنْ تكون الأَلفاظُ متعادلةَ الأوزان، متوالية

---

(١) انظر: نقد الشعر ٥٧ والصناعتين ٣٥٠ والعمدة ١ / ٣١٣ (وسمّاه التتبيع) وهو كذلك في شرح المقامات للشريشي ٢ / ٢٣٣.
(٢) هامش في ظ: وسمّي تتبيعاً.
(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٠٨
(٤) شرح ديوانه ١٣١.
(٥) الترفة: النعمة.
(٦) انظر الجامع الكبير ٢٧٠ والعمدة ٢ / ٢٥.

الأجزاء، كقول امرئ القيس:

سَليمِ الشَّظَى عَبْلِ الشوى شَنِجِ النَّسَا[1]

وقول أبي دُؤَاد: [2]

بَعِيدُ مطى الطَّرْفِ خَاظِي البَضيع
مُمَـرُّ المَـطَا سَمْهَـرِيُّ العَصَبْ[3]

المســاواة: [4]

وأمَّا المساواة: فهي أنْ يكون اللفظُ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه، ولا ينقص عنه، كقول زُهير:

ومهما يَكُنْ عندَ امرِىءٍ من خَليقةٍ
وإن خـالَهـا تَخْـفَى عـلى الـنـاسِ تُعْلَمِ[5]

وكقـوله:

فلو شـاءَ قَوْمي كـانَ حِلْمِي فيهمُ
وكانَ علَى جُهَّالِ أَعدائِهِمْ جَهلي[6]

---

(١) شرح ديوانه ١٤٤، وعجزه (له حجبات مشرفات على الفال).

(٢) أبو دُؤَاد هو جارية بن الحجّاج الإيادي شاعر جاهلي وكان بارعاً مجيداً في وصف الخيل خاصة (الأعلام ٢ / ٩٤).

(٣) بائية أبي دؤاد ٤٢ (نشرها الأستاذ الميمني مع ديوان حميد بن ثور).
هامش في ظ: هذا البيت لا مدخل له بمثل صنعة الموازنة إلَّا في قوله (بعيد مطى ... وممر المطا) والباقي لا يعدّ من التوازن.

(٤) أنظر نقد الشعر ٥٥ والصناعتين ١٧٩ وبديع أسامة ٧٩ والتبيان ١٣٢ وتحرير التحبير ١٩٧ والعمدة ٢ / ١٠.

(٥) شرح ديوانه ٣٢.

(٦) شرح ديوان جرير ٤٦٢.

وكقول الآخـــر:

إذا أنتَ لم تُقْصِرْ عن الجَهْلِ والخَنَا
أَصَبْتَ حليماً أو أصَابكَ جَاهِلُ[1]

ومسـاواةُ اللفظ بالمعنى هـو الأَمـر المتـوسط بين الإيجـاز والإسهاب[2].

الإشـــارة :[3]

وأمَّا الإشارةُ: فهي اشتمالُ اللفظ القليل على المعاني الكثيرة، كاللمحة الدالّة على المراد، كقول امرىء القيس:

فــظَلَّ لنـا يَــومٌ لــذيــذٌ بنعمَــةٍ
فَقُـلْ في مَقيـلٍ نَحْسُـهُ مُتَغَيِّبِ[4]

وكقولـــه:

على هَيكـلٍ يُعْطِيـكَ قبلَ سُؤَالِـه
أَفَانِينَ جَرْيٍ غَيـرَ كَزٍّ ولا وَانِ[5]

---

(١) شرح ديوان زهير ٣٠٠.

(٢) في س : والإطنـــاب.

(٣) انظر: نقد الشعر ١٧٤ وحسن التوسل ٢٦٣ ونهاية الأرب ٧ / ١٤٠ وتحرير التحبير ٢٠٠ ونقد الشعر ٥٥ والعمدة ١ / ٣٠٢ والصناعتين ٣٤٨ وبديع أُسامة ٥٠ والتبيـــان ٧١ (وسمـاه الإيجـــاز) وشـرح مقــامـات الحـريـري ٢/ ٢٢٩، وحليـة المحاضرة ١ / ١٣٨.

(٤) شرح ديوانه ٤٠.

(٥) شرح ديوان امرىء القيس ١٨٥.

فقد جمع في قوله: أَفانين جري، ما لو عُدَّ لتطاول اللفظُ به، وجمع في قوله: قبل سؤاله، أوصافَ العتق والجـودة في هذا الفرس، ويريد أنَّه يذهب في الأفانين طوعاً من غير حثٍّ. وفي قوله: غير كزٍّ ولا وانٍ، نفى عنه أنْ يكون معه الكزازة من قِبَل الجماح والمنازعة، والوَنى من قِبَل الاسترخاء والفترة.

وكقول الآخر:

هَـاجَ ذا القَلب من تَذَكّـرِ جُمْـلٍ
مـا يَهيـجُ المُتيّمَ المَحـزُونَـا[1]

فقد أشارَ بقوله: ما يهيج المتيّم المحزونا، إلى ضروبٍ من أوصاف المتيّم يتسع فيها نطاقُ الكـلام، وتفسح معهـا مسارب الظلام.

المبـالغـة: [2]

وأمَّا المبالغةُ: فهي أنْ تذكر معنى ما لو اقتُصر عليه لكان كافياً فيما قُصِدَ له، فلا يقتصر على ذلك حتى يؤكد معانيه، ويعتمد المبالغة فيه كقوله:

ونُكْـرِمُ جـارَنـا مـا دامَ فيـنـا
ونُتْبِعـه الكـرامـةَ حيثُ مَـالا[3]

---

(١) في نقد الشعر ١٧٥ لاسماعيل بن يسار.

(٢) انظر: نقد الشعر ١٦١ والصناعتين ٣٧٩ والطراز ٣ / ١٢٤ والعمدة ٢ / ٥٣ وتحرير التحبير ١٤٧ (وسمّاه الإفراط في الصفة)، وبديع أسامة ٥٣ وأنوار الربيع ٤ / ٢٠٧ وحسن التوسل ٢٣٦ ، ونهاية الأرب ٧ / ١٢٤ .

(٣) في الصناعتين ٣٧٩ لعمير بن الايهم التغلبي.

فإكرامهم الجار، ما كان فيهم، من الأخلاق الجميلة الموصوفة، واتباعهم إياه بالكرامة، حيث كان، من المبالغة في الجميل[1]، وكقول الخُضري[2]:

وأَقبحُ من قِرْدٍ وأبخلُ بالقِرى
من الكلبِ أمسى وهو غَرثانٌ أعجفُ[3]

فقد كان يجزئُ في الذم أن يكون هذا المهجو أبخل من الكلب، فلم يرضَ حتى يكون غرثان أعجف، وكقول الآخر:

وإنَّا لنُعطِي النَّصْفَ مِنَّا وإننا
لنأخُذُه مِنْ كُلِّ أبلخَ ظَالمِ[4]

فالتوكيد في قوله، وإننا لنأخذه، ثم قال: من كل أبلخ، ثم قال: ظالم، فهذه مبالغات مضاعفة مكررة.

الغلوّ[5]:

وأمَّا الغلوّ، فكقول قيس بن الخطيم[6]:

---

(١) هامش في ظ: أقول التمدح باكرامهم الجار يدلّ على فواضل الأخلاق واتباعهم إياه بالكرامة توكيد ثانٍ وقيده بحيث مالَ إلى حيث كان مبالغة ثالثة.

(٢) هو الحكم بن معمر الخضري شاعر مجيد من خُضر محارب، توفي سنة ١٥٠ هـ (الأعلام ٢ / ٢٩٦).

(٣) الصناعتين ٣٧٩ للحكم الخضري.

(٤) الصناعتين ٣٧٩ لرواس بن تميم. والأبلخ: الظالم المتجبر.

(٥) انظر: العمدة ٢ / ٦٠ والصناعتين ٣٥٧ وتحرير التحبير ٣٢٣ وحسن التوسل ٢٧٦ وأنوار الربيع ٤ / ٢٢٩ ونهاية الأرب ٧ / ١٤٩ وحلية المحاضرة ١ / ١٩٥.

(٦) قيس بن الخطيم الأوسي، شاعر الأوس وفارسها في الجاهلية كان معاصراً لحسّان وأدرك الإسلام وقتل قبل الدخول فيه (الأعلام ٦ / ٥٥).

طعنتُ ابنَ عبدِ القَيس طعنة ثَائرٍ
لهـا نَفَذٌ لـولا الشعـاعُ أضـاءَهـا
ملكتُ بهـا كَفي فـانهَـرتُ فتقَهـا
يَرى قائماً مَنْ دونَها ما وراءَها(١)

وبلغني أنَّ شعبة بن الحَجّاج(٢) قال لمّا أُنشِد البيتين: هذا لم يطعنه، إنَّما فتح دربان(٣).

وكقول النمر بن تولب العكلي(٤):

أبْقَى الحَـوادثُ والأَيـامُ من نَمِـرٍ
أسبــادَ سَيْفٍ قَـديمٍ أثْــرُهُ بَـادِي
فـظلَّ يحفِرُ عنـه إن ضَـربْتَ بـه
بعدَ الذراعين والساقين والهادي(٥)

وكقول أبي نواس:

تــوهمتُهـا في كــأسِهـا فكــأنّمـا
توهمتُ شيئاً ليس يـدركه العقـلُ

---

(١) ديوانه ٢٢.

(٢) شعبة بن الحجاج مولى الأزد، من كبار المُحدّثين وكان عالماً بالأدب والشعر ولد ونشأ بواسط وسكن البصرة وتوفي بها سنة ١٦٠ هـ (الأعلام ٣ / ٢٤١).

(٣) أي دربند: وهو الباب بالفارسية.

(٤) النمر بن تولب العُكلي شاعر مخضرم جواد كريم، أدرك الإسلام وأسلم وتوفي سنة ١٤ هـ، وهو من المعمّرين (الأعلام ٩ / ٢٢).

(٥) شعره ٥٣.

فما يَرتَقِي التّكييفُ منها إلى مدًى
يحــدُّ بـه إلاّ ومن قَبلِهِ قَبْــلُ[1]

ومن الشعراء من يستثني عند الغلو أو يظهر بكاد ولولا ، فيدرك مراده ويسلم من قبح الغلوّ وهجنة الإفراط ، مثل قول العرجي :

ولـهنَّ بــالـبيـت العـتيـق لُبــانَــةٌ
والبيتُ يعــرِفـهنَّ لــو يـتكـلَّمُ[2]

الإيغــال : [3]

وأمَّا الإيغالُ : فهو أنْ يوغل بالقافية في الوصف، ويؤكد التشبيه بها، والمعنى قد يستقل دونها، وإنَّما يأتي بها لحاجة الشعر في أن يكونَ شعراً إليها، فيزيد معناها في تجويد ما ذكره، فيبلغ في المعنى إلى الغاية القصوى في الإحسان والجودة، كقول أمرىء القيس :

كأنَّ عُيُونَ الوَحْــش حَولَ خِبَائِنـا
وأَرحلنَا الجِزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ[4]

فقد أتى على التشبيه قبل القافية، وذلك أنَّ عيون الوحش إذا

---

(١) ليسا في ديوانه (طبعة الغزالي) والأول منهما دون نسبة في الامتاع والمؤانسة ٣ / ١٤٦ .

(٢) للعرجي في حماسة الخالدين ٢ / ١٣٩ ولم أجده في ديوانه .

(٣) انظر: نقد الشعر ٦٣ والصناعتين ٢٨٠ وسر الفصاحة ١٨٢ وحسن التوسل ٢٦١ ونهاية الأرب ٧ / ١٣٨ والعمدة ٢ / ٥٧ وتحرير التحبير ٢٣٢ والجامع الكبير ٢٤١ وعدّه نوعاً من الإرصاد، وشرح مقامات الحريري ٢ / ٢٣٣ (وسمّاه التبليغ) وكذلك سماه الحاتمي في حلية المحاضرة ١ / ١٥٥ .

(٤) شرح ديوانه ٤٧ .

ماتت أشبهت الجزع، ثم لمّا جاء بالقافية بلغ بالمعنى الأمدَ البعيد في التأكيد، لأنَّ تشبيه عيون الوحش بالجزع الذي لم يثقّب أدخل في التشبيه، وإذا لم يثقّب كان أحسن في صفائه، وأشدَّ في ترقرق مائه، وكقوله:

إذَا ما جَرَى شَأْوَيْنِ وابتَلَّ عِطْفُهُ
تَقُولُ هَزِيزَ الرِّيحِ مَرَّتْ بأَثأَبِ[1]

فقد تمَّ الوصف والتشبيه قبل القافية، فلمّا أتى بالقافية زاد المعنى نصاعةً وبراعة، وذلك أنَّ الأثأب شجرٌ يكون للريح في أضعاف أغصانه حفيفٌ شديد.

وقال زُهير:

كأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ في كلِّ منزلٍ
نَزلْنَ به حَبُّ الفنا لم يُحَطَّمِ[2]

فقد أتى بالتشبيه قبل القافية، ثم قال: لم يحطّم، لأنَّه إذا حُطّم كان داخله أبيض، فلم يشبه العهن وهو الصوف الأحمر. وقال آخر:

حَمَلْتُ رُدَيْنِيّاً كأَنَّ سِنَانَه
سَنا لَهَبٍ لم يتصل بدُخَانِ[3]

فأَكد بقوله : لم يتصل بدخان.

---

(١) شرح ديوان امرىء القيس ٣٧. والأثأب: شجر صحراوي.

(٢) شرح ديوانه ١٢.

(٣) شرح ديوان امرىء القيس ١٩١.

التسهيم : [1]:

وأمَّا التسهيم، فهو أنْ يصوغ الشاعرُ أَلفاظَه مستوية الأقسام، معتدلة النظام، لا يزيد جزءٌ على جزءٍ، تقتضي كلُّ كلمةٍ أُختها، وكلّ لفظةٍ شكلها، فإذا كان الشعر على هذه الصيغة، سبقَ السامعُ إلى قوافيه، قبل أنْ ينتهي إليها راويه، حتى لو سمع سامعُ الشطر الأول، استخرج الشطر الآخر، من غير أنْ يكون قد سمعه، كقول البحتري:

فــإذا حَــارَبُــوا أَذَلُّــوا عَــزِيــزاً

يقتضي أن يكون تمامُه:

وإذا سَــالَمُــوا أَعَــزُّوا ذَلِيــلاَ [2]

وكقولــه:

أَحلَّتْ دَمِي مِنْ غير جُرْمٍ وحَرَّمتْ

بــلا سَبَبٍ يــومَ اللقَــاءِ كــلاَمِي

فـليسَ الــذي حَلَّلْتِــهِ بـمُحَلَّلٍ

يجب أن يكون تمامُه:

وليسَ الــذي حَــرَّمْتِــهِ بحَــرامِ [3]

---

(1) انظر: العمدة ٢ / ٣١ وتحرير التحبير ٢٦٣ وحسن التوسل ٢٦٥ ونهاية الأرب ٧ / ١٤٢ والتبيان ١١٧ وأنوار الربيع ٤ / ٣٣٦ ونقد الشعر ٦٣ وسماه التوشيح وهو كذلك في الصناعتين ٢٨٢ وسمّي المغالطة في سر الفصاحة ١٨٧ والإرصاد في الجامع الكبير ٢٣٩ وانظر حلية المحاضرة ١ / ١٥٢.

(2) ديوانه ٣ / ١٧٦٩.

(3) ديوانه ٣ / ٢٠٠٠ - ٢٠٠١.

وقالت جنوب أُختُ عمرو: [1]

فـأَقسمتُ يـا عمـرُو لـو نَبَّهـاك
إذن نَـبَّهـا منـك داءً عُـضَـالا

إذن نـبَّهـا لـيثَ عِـرِّيسـةٍ[2]
مُفيتـاً مُفيـداً نفُـوسـاً ومَـالا

وخـرقـاً تـجَـاوزتَ مَجهُـولَـهُ
بـوَجنَـاء حَـرفٍ تَشكَّى الكـلالاَ

فـكنـتَ النَـهـارَ بـهـا شـمـسَـهُ
وكنتَ دُجَى الليـل فيها هِـلاَلاَ [3]

فانظر إلى ديباجة هذا الكلام ما أَصفاها، وإلى تقسيماته ما أصحَّها، وانظر إلى قولها: مُفيتاً مُفيداً، ووصفهـا بالشمس في النهار، والهلال في الليل. واشتقاق التسهيم من البُرْدِ المُسهَّم الذي لا يتفاوت ولا يختلف، وقد يُسمى التوشيح أيضاً.

رد العجـز على الصـدر: [4]

وأمَّا ردُّ الكلام على صدره، ويُسمى أيضاً ردّ العجـز على

---

(١) قال أبو عمرو (جنوب هي عَمْرَة بنت العجلان أخت عمرو ذي الكلب بن العجلان الكاهلي الهذلي) وهي شاعرة وأخوها عمرو شاعر أيضاً.
(انظر شرح أشعار الهذليين للسكّري ٢ / ٥٨٣ ـ ٥٨٥).

(٢) العِرّيسة : الشجر الملتف وعرين الأسد.

(٣) زهر الآداب ٢ / ٧٩٥ والعمدة ٢ / ٣١ وشرح أشعار الهذليين ٢ / ٥٨٣ ـ ٥٨٥.

(٤) انظر : حسن التوسل ٢١٤ ونهاية الأرب ٧ / ١٠٩ وتحرير التحبير ١١٦ وبديع ابن المعتز ٩٣ والصناعتين ٣٨٥ والتبيان ١٣١ والجامع الكبير ٢٥٨ وأنوار الربيع ٣ / ٩٤

الصدر، فهو أن يبتدأ الشاعرُ كلمةً في بيت ثم يعيدها في عجزه، أو في النصف الأول، ثم يردّها في النصف الآخر، وإذا نظم الشعر على هذه البنية،تيسَّر استخراج قوافيه قبلَ أن تطرق السمع، أو ينتهي إليها المُنشد كقوله:

وإنْ لم يكُنْ إلاّ تَعلُّلُ سَاعَةٍ
قَليلاً فإنّي نَافِعٌ لي قَليلُها[1]

وقول الآخر:

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنٌ مُسْتَهِلٌّ غَمَامُهُ
ومَا ذَاكَ إلاَّ حُبُّ مَنْ حَلَّ بالرَّملِ[2]

وقول الآخر:

وكُنْتَ سَنَاماً في فَزارَةَ تَامِكاً
وفي كلِّ حيٍّ ذِرْوَةٌ وسَنَامُ[3]

صحة التقسيم: [4]

وأمَّا صحة التقسيم: فهو أنْ يستقصي الشاعر تفصيل ما ابتدأ فيه

(وسميّ التصدير) في العمدة ٢ / ٣ وشرح مقامات الحريري ٢ / ٢٣٣ وحلية المحاضرة ١ / ١٦٢.

(١) لذي الرمّة في ديوانه ٥٥.

(٢) لجرير في شرح ديوانه ٤٦٠.

(٣) لعامر بن الطفيل في ديوانه ١٢٦.

(٤) انظر: نقد الشعر ١٤٩ والصناعتين ٣٤١ وجواهر الألفاظ ٦ وبديع أسامة ٣١ ونهاية الأرب ٧ / ١٣٦ والأقصى القريب ٩٦ والعمدة ٢ / ٢٠ والجامع الكبير ٢١٨ ومنهاج البلغاء ١٥٤ وحسن التوسل ٢٥٦ وتحرير التحبير ١٧٣ وشرح مقامات

ويستوفيه، فلا يغادر قسماً يقتضيه ذلك المعنى إلاَّ أورده، كقول زُهير:

يطعَنُهم ما ارتَمَوا حتى إذا طَعَنوا
ضَاربَ حتى إذا مَا ضَرَّبُوا اعتنقَا[1]

فقسمَ البيت على أقسام الحرب، ومراتب اللقاء، ثم أَلحقَ بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح.

وكقول نُصَيب:

فقـال فريقُ القـومِ لا، وفـريقُهم
بَلَى وفريقٌ قالَ ويحكَ ما ندري[2]

وليس في الأقسام في الإجابة عن المطلوب إذا سُئل عنه[3] غير ما ذكره. وقال طريح بن اسماعيل[4].

إن حَارَبُوا وضَعُوا، أوسَالَموا رَفَعُوا
أو عَاقَدُوا ضَمنُوا، أو حَدَّثُوا صَدَقُوا[5]

فهذا وأمثاله التقسيم الذي إذا اعتمده الشاعر، وأَحسَ صنعته،

الحريري ٢ / ٢٣١ والتبيان ١٠٥ وسمّاه (التفسير) وحلية المحاضرة ١ / ١٤٧.

(١) شرح ديوانه ٥٤.

(٢) شعر نصيب ٩٤.

(٣) في س : وليس الأقسام في الإجابة إذا سئل عن المطلوب.

(٤) طريح بن اسماعيل الثقفي شاعر الوليد بن يزيد ونديمه قال أكثر شعره في مديحه وعاش إلى أيام الهادي العباسي وتوفي سنة ١٦٥ هـ (الأعلام ٣ / ٣٢٥).

(٥) التبيان ١٠٥.

شَرُفَ كلامُه، وتهذبت عبارتُه.

المماثلـة: [1]

وأَمَّا المماثلةُ: فهو ضربٌ من الاستعارة، وذلك أن يقصد الشاعرُ الإشارة إلى معنًى فيضع ألفاظاً تدلُّ عليه، وذلك المعنى بأَلفاظه مثالٌ للمعنى الذي قصد الإشارة إليه، كقول زُهير:

وَمَنْ يَعْصِ أَطرافَ الزِّجاجِ فإنَّه
يُطِيعُ العَوالي رُكِّبتُ كلَّ لَهْذَمِ [2]

فعدلَ أَنْ يقول مَن لم يرضَ بأَحكام الصلح، رضي بأَحكام الرماح. وكقول عمرو[3]:

فلو أنَّ قَومِي أَنَأَنطَقَتنِي رِمَاحُهم
نطقتُ ولكنَّ الرِمَاحَ أَجرَّتِ [4]

التكميـل: [5]

وأَمَّا التكميـل: فهو أَنْ يذكر الشاعرُ المعنى فلا يدع من

---

(1) أنظر: نقد الشعر ١٧٨ والعمدة ١ / ٢٧٧ (وسمّاه التمثيل) والصناعتين ٣٥٣ وتحرير التحبير ٢٩٧.

(٢) شرح ديوانه ٣٠.

(٣) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي فارس اليمن أدرك الاسلام وأسلم وشهد الفتوحات، شاعر مجيد توفي سنة ٢١ هـ (الأعلام ٥ / ٢٦٠)..

(٤) ديوانه ٤٥.

(٥) انظر: منهاج البلغاء ١٥٦ ونقد الشعر ١٥٧ ونهاية الأرب ٧ / ١٥٧ وحسن التوسل ٢٨٧ وتحرير التحبير ٣٥٧ وأنوار الربيع ٥ / ١٨٥ وسر الفصاحة ٣٢٢ وسمّاه (التحرز مما يوجب الطعن) وشرح مقامات الحريري ٢ / ٢٢٩ وسمّاه (التعريض).

الأَحوال التي تتمُّ بها صحته، ويكمل معها، شيئاً إلَّا أتى به، كقول نافع بن خليفة: [1]

أنــاسٌ إذا لم يُقبـل الحقُّ منهم
ويُعْطُوه، عاذوا بالسيوفِ الصوارِمِ[2]

إنما تمّتْ جودة المعنى بقوله: ويعطوه، وإلَّا كان ناقصاً.

وكقول كعب بن سعد الغَنَوي: [3]

حليمٌ إذا مــا زيَّـنَ الحِـلمُ أَهلَه
مع الحِلْمِ في عين العَدوِّ مَهيبُ[4]

وكقول كُثيّر:

لو أنَّ عزَّة خَاصمتْ شمسَ الضُّحى
في الحُسْنِ عندَ مُوفَّقٍ لقضَى لها[5]

فقوله: عند موفق، من التكميل.

---

(١) له شعر في البيان والتبيين يدلُّ على أنه كان اسلامياً (البيان والتبيين ١ / ١٧٦) وذكر له القالي ٣ / ١١٦ شعراً في هجاء نمير، وقال الأستاذ الميمني في سمط اللآلي ٣ / ٥٥ (ونافع لم أعرفه ولا ذكره الآمدي).

(٢) العمدة ٢ / ٥١ والصناعتين ٤٠٥ وفيهما (بالسيوف القواضب).

(٣) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي شاعر جاهلي، حلو الديباجة وأشهر شعره بائية في رثاء أخيه، وهو من شعراء ذي قار (الأعلام ٦ / ٨٢).

(٤) نقد الشعر ١٥٩.

(٥) ديوانه ٣٩٤.

الترصيـــع : [1]

وأمَّا الترصيع فهو توخي تسجيع مقاطع الأجزاء، وتصييرها متقاسمة النظم، متعادلة الوزن، حتى شُبِّه ذلك بالحلي في ترصيع جوهره، كقول امرئ القيس:

المــاءُ مُنْهَمِـرٌ، والشَّــدُّ مُنحــدِرٌ
والقَصبُ مُضْطَمِرٌ والمتَـنُ ملحُوبُ[2]

وقول الخنســاء:

حَامِي الحقيقَةِ، مَحمُودُ الخَلِيقَةِ مَهديُ الطَريقَةِ نفَّاعٌ وضَرَّارُ
جَــوّابُ قَـاصِيَــةٍ جَـزَّازُ نَــاصيَـةٍ
عَقَّــادُ أَلــويَــةٍ للخيَــلِ جَــرَّارُ[3]

فواصلتْ بين هذه التسجيعات كما ترى مواصلةً رشقت العبارة عنها، وحلا السجع بها، وليس يحسن الاستكثار من هذا، لأنَّه إذا كثـر في القصيـدة دلَّ على التكلف، وإنَّمـا يحسن أن يـأتي أوضاحاً[4]، وأنْ يرد في بيتين أو ثلاثة من القصيدة.

التكافــؤ : [5]

وأمَّا التكافؤ : فهو قريبٌ من الطباق، وهو أن تتكلم في أَمرٍ من

---

(١) أنظر: نقد الشعر ٣٨ ونهاية الأرب ٧ / ١٠٤ وتحرير التحبير ٣٠٢ وسر الفصاحة ٢٢٣ والجامع الكبير ٢٦٣ والعمدة ٢ / ٢٦ (وأدخله في باب التقسيم).

(٢) شرح ديوانه ٥٣ وآخره : واللون غربيبُ.

(٣) نهاية الأرب ٧ / ١٠٤ وحسن التوسل ٢٠٨ .

(٤) أوضاحاً: غُرراً، والوضَحُ: البياض والغرّة.

(٥) انظر : نقد الشعر ١٦٣ .

الأمور فتأتي فيه بمعانٍ متكافئةٍ في هذا الموضع متقاومة، حتى إذا قال في معنى أنَّ شيئاً أبيض قال غير ذلك من وجوه الغيار، كقول بشّار:

إذا أَيـقَـظَتْـكَ حـرُوبُ الـعِـدَا
فـنبِّـهْ لـهـا عُـمَـراً ثُـمَّ نَـمْ[1]

وله أثرٌ في تجويد الشعر قويٌّ، فإنَّه لو قال مثلاً: فجرد لها، لم يكن لهذه اللفظة من الموقع مع ثُمَّ، ما لِنَبّه.

السلب والإيجـــاب :[2]

وأَمَّا السلبُ والإيجاب: فهو أنَّ يوقع الكلام على نفي شيء واثباته في بيت واحد، كقول الشاعر:

وَنُنكِرُ إنْ شئنا على الناسِ قولَهم
ولا يُنكـِرونَ القولَ حينَ نقـولُ[3]

وكقولِ الشمّاخ:[4]

هَضيمُ الحشا لا يَملأُ الكفَّ خَصْرُها
ويملأُ منها كـلُّ حِجْلٍ ودُمْلُجِ[5]

---

(١) ديوانه ٤ / ١٦٠.

(٢) أنظر : حسن التوسل ٢٨٣ ونهاية الأرب ٧ / ١٥٥ والعمدة ٢ / ٨٠ وأنوار الربيع ٤ / ٣٦٤ (وسمّاه نفي الشيء وإيجابه) وتحرير التحبير ٥٩٣ (وادّعى المؤلف أنه مما سلم له اختراعه).

(٣) ديوان السموأل ١٧ وفي عيار الشعر ٦٦ لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي.

(٤) هو الشمّاخ بن ضرار الذبياني الغطفاني شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام من طبقة لبيد والنابغة، وكان راجزاً مجيداً، شهد القادسية وقتل في احدى الغزوات سنة ٢٢ هـ (الأعلام ٣ / ٢٥٢).

(٥) ديوانه ٦.

الكنـاية والتعريض:[1]

وأمَّا الكناية والتعريض، فكقول القائل:

وأحمـر كـالـديبـاج أَمَّـا سَمَـاؤُه
فَـرِيّـا وأمَّـا أَرضُـهُ فمحُـولُ[2]

حَسُنَ جمعُه بين سَراته[3] وقوائمه، على تفاوتهما في خلقة الفَرس، لأنّه ألّفَ بينهما بنسبين هما الأرض والسماء، والنسب الثاني أنّه ضادَّ بينهما بضدين محمودين، اندماج السَّراة وريِّها، ونحضِ القوائم وظَمئِها.

العكـس والتبـديـل[4]:

وأَمَّا العكسُ والتبديلُ: فهو أنْ يتقدم الكلامَ جزءٌ، ألفاظه منظوم نظاماً ما، فيلي هذا الجزء، بجزءٍ آخر يجعل فيه ما كان مقدماً في الأول، مؤخراً في الثاني، كقول الشاعر:

وإذا الـدُّرُّ زانَ حُـسْـنَ وجُـوهٍ
كـانَ للدرِّ حُسْنُ وجهِـكِ زَينـا[5]

---

(١) انظر: حسن التوسل ٢٣٣ والأقصى القريب ٧٢ والصناعتين ٣٦٨، ونهاية الأرب ٧ / ٥٩ وتحرير التحبير ١١٣ وبديع ابن المعتز ١١٥والعمدة١ / ٣٠٥ وسر الفصاحة ١٥٦ وبديع أسامة ٥٠.

(٢) لأعرابي في ديوان المعاني ٢ / ١٠٦.

(٣) في ظ : محض، والتصويب من س. ونحض: ضمور.

(٤) انظر: حسن التوسل ٢٦٨ ونهاية الأرب ٧ / ١٤٤ وتحرير التحبير ٣١٨، والتبيان ١٣٢ وبديع أسامة ٥٣ والصناعتين ٣٧١ وسر الفصاحة ٢٣٩.

(٥) في الوساطة ٢٣٩ لبعض المحدثين.

الالتفـــات: [1]

وأمَّا الالتفاتُ: فهو أنْ يكون الشاعرُ في كلامٍ، فيعدل عنه إلى غيره، قبل أن يتمّ الأولُ، ثم يعود إليه فيتمّمه، فيكون فيما عدلَ إليه مبالغة في الأول، وزيادة في حُسنه، كقول جرير:

متى كـان الخِيامُ بـذي طُلوحٍ
سُقِيت الغَيْثَ أيتهـا الـخيَـامُ [2]

ومعنى الالتفات فيه أَنَّه اعَترض في الكـلام قولُـه: سُقيت الغيث، ولو لم يعترض، لم يكن ذلك التفاتاً، وكقول الجعدي:

ألا زَعَـمَتْ بـنـو سـعـدٍ بـأَنـي
- أَلا كَذَبُوا - كبيـرُ السِنِّ فاني [3]

فقولُه: أَلا كذبوا، اعتراضٌ بين الكلامين، وفيه مبالغةٌ لما أَراده، وكقول كُثيّر:

لـو أنَّ الـبـاخليـنَ وأَنتِ مـنهـم
رأَوكِ تَعلَمـوا منـكِ المِـطَالا [4]

وكقول حسّان:

---

(١) انظر : حسن التوسل ٢٢٤ ونهاية الأرب ٧ / ٦١٦ وتحرير التحبير ١٢٣ ونقد الشعر ٥٣ وبديع ابن المعتز ١٦٠ والعمدة ٢ / ٤٥ والصناعتين ٣٩٢ وبديع أسامة ٦ والتبيان ١٢٧ وأنوار الربيع ١ / ٣٦٢ وشرح مقامات الحريري ٢ / ٢٣٤ وحلية المحاضرة ١ / ١٥٧.

(٢) شرح ديوانه ٥١٢، وفي ظ (أيتها الطلوح) والتصويب من س والديوان.

(٣) شعره ١٦٢ وفيه : بنو كعب.

(٤) ديوانه ٥٠٧.

إنَّ التي نَاوَلْتنِي فَرَدَدْتُها
قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَلِ[1]

وكقول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي[2]، يعاتب أَخاه، وهو في حبس الرشيد:

فلو بكَ ما بي لا يكنْ بكَ لاغتدَى
إليكَ وراحَ البرُّ بي والتقرُّبُ[3]

فقولُه: لا يكن بك، اعتراضٌ مليحٌ، وكذلك قولُه:

فإنيّ إنْ أفتكَ يَفْتكَ مني
فلا تسبق به، عِلقٌ نَفيسُ[4]

فقولُه: فلا تُسبق به، اعتراضٌ في هذا الموضع، قوَّى المعنى الذي أَراده وزاده نصاعةً.

الاستدراك والرجوع:[5]

وأَمَّا الاستدراكُ والرجوعُ: فهو أن يبتديء الشاعرُ بمعنىً، فينفي

---

(١) شرح ديوانه ٣١١.

(٢) ترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٧٦ ـ ٢٨٠، وقال في صفته (كان الحارثي شاعراً مفلقاً مفوهاً مطبوعاً وللحارثي قصيدة يرثي فيها أخاه سعيد بن عبد الرحيم ليست بدون قصيدة متمم التي يرثي بها أخاه مالكاً وهي على رويّ تلك ولو لم يكن في كتابنا غير شعر الحارثي لكان جليلاً).

(٣) في أنوار الربيع ٥ / ١٣٧ لعبد الرحيم بن عبد الملك الحارثي.

(٤) بديع أسامة ١٣١ وشرح مقامات الحريري ٢ / ٢٣٤.

(٥) أنظر: التبيان ١١٤ وحسن التوسل ٢٧٩ ونهاية الأرب ٧ / ١٥١ وتحرير التحبير ٣٣١ وأنوار الربيع ١ / ٣٨٥ والصناعتين ٣٩٥ وبديع ابن المعتز ١٠٨ ومفاتيح العلوم ٦١.

شيئاً ثم يستدركه بما يؤكد هذا المعنى، أو يثبت ما نفاه أولاً، كقول زُهير:

قِفْ بالدِّيارِ التي لم يَعْفُها القِدَمُ
بَلَى وغَيَّرها الأرواحُ والدِّيَمُ[1]

وكقول الأعرابي:

أليسَ قَليلاً نَظرةٌ إنْ نَظرتُها
إليكِ وكلاَّ ليسَ منكِ قَليلُ[2]

وكقول أَبي البيداء:[3]

وما بي انتّصارٌ إنْ غَدا الدهرُ جَائِراً
عليَّ، بلَى إنْ كانَ مِنْ عندكَ النَّصْرُ[4].

وكقول بشّار:

نُبِّئتُ فاضحَ أُمّه يَغْتَابُني
عِندَ الأَميرِ، وهل عَلَيَّ أميرُ[5]

التذييل: [6]

وأمَّا التذييلُ: فهو ضد الإشارة، وهو إعادة الأَلفاظ المترادفة

(١) شرح ديوانه ١٤٥.

(٢) ليزيد بن الطثرية في الأمالي ١ / ١٩٦.

(٣) أبو البيداء الرياحي: أسعد بن عصمة أعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان بأجرة وأقام بها أيام عمر (رض) يؤخذ عنه العلم، وكان شاعراً محسناً (الفهرست ٤٤).

(٤) الصناعتين ٤١١.

(٥) ديوانه ٣ / ٢٩٦.

(٦) انظر: حسن التوسل ٢٦٤ ونهاية الأرب ٧ / ١٤٠ وتحرير التحبير ٣٨٧ والصناعتين ٣٧٣ وبديع أُسامة ٦٣ وأنوار الربيع ٣/ ٣٩.

على المعنى الواحد بحيه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكّد عنده فهمه، وسبيلُه أنْ يُستعمل في المواقف الحافلة، والمواطن الجامعة، كقول الشاعر:

إذا ما عَقَدْنَا له ذِمةً
شَددْنَا العِنَاجَ وعقدَ الكَرَبْ[1]

وقول الآخر:

فَدعوا نَزَالِ فكنتُ أولَ نَازِلٍ
وعَلامَ أركَبُه إذا لم أنزِلِ[2]

الاستطراد: [3]

وأمَّا الاستطرادُ: فهو أنْ يأخذ الشاعر في صفة يجعلها طريقةً إلى ما يريده من مدحٍ أو هجاءٍ وغير ذلك، ولا يزال فيما ركبه لا يزل عنه، ولا ينتقل منه، حتى يثني عنانه إلى غرضه، ويعطف قوله إلى مقصده، بعد أن يكون في الكلام الأول دلالة على أن المقصد غير ما عَطفَ عليه، فحينئذٍ يكون استطراداً، فمنه قول حسّان:

---

(١) لأبي دؤاد الإيادي في المعاني الكبير ٢ / ١١١٤. والعناج: حبل يُشدّ أسفل الدلو.

(٢) شعر ربيعة بن مقروم ٣١.
وهامش في ظ: ومنه مع صنعة التجنيس:
قُلتَ لي قِلتَ قُلْتُ قِلتُ قليلاً ... ولقد قالَ من أصابَ مقيلا

(٣) انظر: منهاج البلغاء ٣١٦ والتبيان ١١٤ وحسن التوسل ٢٢٧ ونهاية الأرب ٧ / ١١٩. وتحرير التحبير ١٣٠ وقواعد الشعر ٥٠ والعمدة ٢ / ٣٩ والصناعتين ٣٩٨ وأنوار الربيع ١ / ٢٢٨ وسمّاه ابن المعتز (الخروج) في بديعه ١٩٠ وحلية المحاضرة ١ / ١٦٣.

إنْ كُنْتِ كـاذِبـةَ الـذي حَـدَّثْتِني
فَنجَوْتِ مَنْجى الحارثِ بنِ هشامِ
تَــرك الأَحبـةَ أَنْ يُقَــاتِــل دونَهُمْ
ونَجــا بـرَأْسِ طِمِــرَّةٍ ولِجَـامِ[1]

وكقول البحتري:

مـا إنْ يَعَافُ قَـذًى، وإنْ أوردْتَـهُ
يـوماً خَـلائقَ حَمْدَوَيْـهِ الأَحْوَلِ[2]

وكقول أبي الشمقمق:

وأحببـتُ من حُـبّهــا البــاخلين
حتى وَمِـقْتُ ابـنَ سَلْمٍ سَـعِيـدَا
إذا سِيــلَ عُــرْفــاً.كَسَــا وجهَــهُ
ثِيَـاباً من اللؤمِ صُفْـراً وسُـودَا[3]

وكقول حاتِم:

إنْ كنتِ كــارِهَــةً لِـعـيشَـتِـنــا
هَــاتَــا فَحُلِّي فـي بسـي بَــدْرِ[4]

---

(١) شرح ديوانه ٣٦٣، والطمّرة: الفَرَس.
(٢) ديوانه ٣ / ١٧٤٥.
(٣) لأبي الشمقمق في التبيان ١١٤ ولأبي العتاهية في بديع ابن المعتز ٦١، ولمسلم بن الوليد في الصناعتين ٤١٦.
(٤) ديوانه ٧٩.

التكـــرار :[1]

وأمَّا التكرارُ، فكقول عَبِيد:

هَــلَّا ســأَلــتِ جُـمُــوعَ كِـنْــ
ـــدَةَ يــومَ وَلَّــوا أيــنَ أيـنَــا[2]

وكقول الآخر:

وكــانــت فَــزَارَةُ تُـصـلَى بــنــا
فــأَولَــى فَــزَارةُ أولَــى فَزَارا[3]

الاستثنـــاء :[4]

وأَمَّا الاستثناءُ: فإنَّه يوجب بلاغةَ بيان، وأَولُ مَن اخترعه النابغةُ بقوله:

ولا عَيْبَ فيــه غيـرَ أنَّ سُيُــوفَـه
بِهنَّ فُلولٌ من قِـراعِ الكَتـائِبِ[5]

فهٰذا تأكيد للمدح بما يشبه الذم، وقال الجعدي:

---

(١) انظر: نهاية الأرب ٧ / ١٤٠ وتحرير التحبير ٣٧٥ والعمدة ٢ / ٧٣ وبديع أسامة ١٠٠.

(٢) شرح ديوانه ١٤٢.

(٣) لعوف بن الخرع من قصيدة طويلة في الاختيارين ٤٨٧ وفيه (وكادت فزارة أن تضطلى).

(٤) انظر : تحرير التحبير ٣٣٣ والصناعتين ٤٠٨ وشرح الشريشي ٢ / ٢٣٤ والعمدة ٢ / ٤٨ وحلية المحاضرة ١ / ١٦٢.

(٥) شعره ٤٤ وفيه (ولا عيب فيهم غير أنَّ سيوفهم).

فتىً كَمُلَتْ خيـراتـهُ غيـر أنَّـه
جوادٌ فما يُبْقي من المال باقيا[1]

التصحيـف : [2]

وأَمَّا التصحيفُ: فكقول البحتري:

ولم يكُنِ المُغْتَـرُّ بـاللهِ إذ سَـرَى
لِيُعْجِـزَ والمُعْتَـزُّ بـاللهِ طَـالِبُـهْ[3]

وقولُه أيضاً:

وكـأَنَّ الشِّليـلَ والنَّثْـرَةَ الحَصْـ
ـداءَ منـه عَلى سَلِيلٍ غَـريفِ[4]

براعــة الاستهلال : [5]

وأمَّا براعة الاستهلال: فهي من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراءُ الكلام، ونُقّاد الشعر، وجهـابذة الألفاظ، فينبغي للشاعر إذا ابتدأ قصيدةً مدحاً أو ذماً أو فخراً أو وصفاً أو غير ذلك من أفانين الشعر، ابتدأها بما يدلّ على غرضه فيها، وكذلك الخطيب إذا

(١) شعره ١٧٣. وهامش في ظ: والعَلَمُ فيه قول البديع:

هـو البـدر إلاَّ أنَّـه البحـر زاخـراً   سـوى أنه الضـرغـام لكنّـه الـوبـلُ

(٢) انظر العمدة ١ / ٣٢٧ والتبيان ١٦٧.

(٣) ديوانه ١ / ٢١٥.

(٤) ديوان البحتري ٣ / ١٣٦٥.

(٥) انظر: حسن التوسل ٢٥٠ والأقصى القريب ٨٥ وتحرير التحبير ١٦٨ والوساطة ٤٨ والتبيان ١٣٤ والجامع الكبير ١٨٧ والعمدة ١ / ٢١٧ ونهاية الأرب ٧ / ١٣٣ وسمّاه (حسن الابتداء) وبديع أسامة ١٣٤ وسمّاه (المبادىء والمطالع).

ارتجل كلَّ خطبة، والبليغ إذا افتتح رسالةً، فمن سبيله أنْ يكون ابتداءُ كلامه دالاًّ على انتهائه، وأولُه ملخصاً بآخره، وينبغي له أنْ لا يبتدئ المدح بشيءٍ من التشبيب يُتطير منه، ويُستجفى من كلامه، وينبو عنه السمع، وينبذه الطبع، ويجتنب مثل قول ذي الرمة:

مَا بَالُ عَيْنِكَ منهـا المَاءُ يَنْسَكِبُ [1]

فقد بلغني، أنَّ بعض خلفاء بني أُمية[2] استنشده شيئاً من شعره فأنشده هذه القصيدة، فردَّ في فيه وأسكته.

ودخلَ الأخطلُ على معاوية[3]، فقال: إنّي مدحتُكَ فاسمع، فقال: إنْ أنتَ شبهتني بالحية والصقر، فلا حاجةَ لي فيه، وإن كنتَ قلتَ كما قالت الخنساءُ في أَخيها:

ولا بلَغَتْ كفُّ امـرِىءٍ مُتَنَـاوِلاً
مِنَ المجدِ، إلاَّ والذي نلتَ أطـوَلُ

وما بلغَ المُهْدُون للناس مِدْحَـةً
وإنْ أَطنبوا إلاَّ الذي فيكَ أَفضَلُ [4]

فهاتِ، فأنشد الأَخطـلُ:

---

(١) ديوانه ١ وعجزه : كأنه من كلى مفريةٍ سربُ.

(٢) هو عبد الملك بن مروان في العمدة ١ / ٢٢٢.

(٣) في المصون ٦٣ وقعت هذه المحاورة بين الأخطل وعبد الملك.

(٤) ديوانها ١٠٧، والبيتان لأوس بن مغراء في سعيد بن العاص (المصون ٢٢).

إذا مُتَ ماتَ الجودُ وانقطع النَّدى
ولم يَبقَ إلاَّ من قليـلٍ مصـرَّدِ[1]

فقال له معاوية : ما زدتَ على أنْ نعيتَ إليَّ نفسي.

وأَنشدَ الجعديُ بعضَ الملوك، قصيدته التي يقول فيها:

لَـقِيـتُ أُنـاســاً فــأفنَـيْتُـهُـمْ
وأفنَيـتُ بعــد أُنــاسٍ أنــاســا[2]

فقال له: ذاكَ من فرط شؤمك.

وأَنشدَ البحتريُ يوسفَ بن محمد الثغري، قصيدةً أولُها:

لكَ الوَيْلُ من لَيْلٍ تقاصرَ آخرُه[3]

فقال له : الويلُ والحرَبُ لك[4].

فمن سبيل الشاعر، المتوقد الهاجس، الواري الزناد، أنْ يكون هجاؤه إذا هجا، واستبطاؤه إذا استبطأ، وتَهْنِئَتُهُ إذا هنَّأَ، وتعزيته إذا عزّى أَو رثى، أو وصفَ على حسب ما يقتضيه ذلك الموصوف، وتوجبه تلك الحال، وأنْ لا يضع كلامه في غير مواضعه، وأنْ يفتتح كلَّ قصيدة بما يناسبها ويَبتَدِئها بما يشير إلى المعنى المقصود فيها، فإنَّ البحتري لو كان هاجياً لكان قولُه (لك الويل) في غاية الجودة،

---

(١) للأخطل في ديوان المعاني ١ / ٢٧ ولم أجده في ديوانه (تحقيق إيليا الحــاوي - بيروت).
(٢) شعره ٧٧ وفيه : لبست أُناساً.
(٣) ديوانه ٢ / ٨٧٦، وعجزه: ووشك نوَى حَيّ تُزَمّ أباعرُه.
(٤) انظر هذه الحكاية في عيار الشعر ١٢٣.

لأنَّ كلَّ صنف من صنوف القول يقتضي نوعاً من الابتداءِ وضرباً من الافتتاح لا يصلح لغيره، وإنَّما جُعِلَ الابتداءُ بالنسيب[1] سبباً إلى المدح وسُلَّماً إليه، ليحسن الممدوحُ الإصغاءَ إلى ما في التشبيب من وصف النزاع والصبَابة، وذكر الوجدِ والغرام، إذ كانت النفوسُ مجبولةً على استحسان الغزلِ والنسيب، فلا يكاد يخلو أحدٌ من أنْ يكونَ ضارباً فيه بسهمٍ وآخذاً منه بنصيب، فإذا انتهى الشاعرُ إلى المدح، وردَ على نفسٍ مجتمعة، وجأشٍ ساكن، وقريحةٍ صَبَّةٍ، وسمعٍ غير مُقسَّم، فحسُنَ موقعُه، ولطُفَ موضعُه، وشَرُفَ مسمعُه، واستوفاه الممدوح ولم يَلهَ عنه، فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدَّل الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلبَ على الشعر، ولم يُطِلْ فيُمِلَّ السامعين، ولم يقطع وبالنفوس ظمأٌ إلى المزيد[2].

ومن سُبل الشاعر أيضاً أن يجتنب تسمية مَنْ يشبب به، فربّما وافقَ ذلك الاسمُ اسمَ من يكره الممدوحُ ذكرَهْ. وإنْ اضطُرَ إلى تسمية مَنْ شبّبَ به، اختار أعذبَ الأسماء وأحلاها موقعاً في السمع، واجتنب التشبيب بالاسم المستكره، كقول جرير:

وتَقُولُ بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصا
هَلَّا هَزِئتِ بغَيرِها يا بَوْزَعُ[3]

---

(١) في س : بالتشبيب.

(٢) نقل المؤلف معظم هذا الحديث عن ابن قتيبة: (أنظر الشعر والشعراء ١ / ٧٥ - ٧٦).

(٣) شرح ديوانه ٣٤٢.

بـــراعة التخلص :[1]

وأمَّا براعةُ التخلص: فإنَّ من حكم التشبيب أنْ يكونَ ممتزجاً بما بعده من مدحٍ أو هجاءٍ وغيرهما، وغير منفصل منـه، فإنَّ القصيدةَ مثلها كمثل الإنسان في اتصال بعض أَعضائه ببعض، فمتى انفصل واحــدٌ عن الآخر، بَطَلَ الجسمُ، وحُذَّاق الشعراء لا يفصلون بينهما. بل يَصلون الأَولَ بالآخرِ، حتى تراه كالرسالة والخطبة، لا ينقطع جزءٌ من جزءٍ، كقول مُسلم:

أَجـدّكِ هـل تَـدرينَ أنْ رُبَّ ليلةٍ
كـأَنَّ دُجَـاهـا من قُـرونـكِ تُنْشَـرُ
نصَبْتُ لهـــا حتى تَـجلَّتْ بـغُـرّةٍ
كَغُـرّةِ يَحْيى حين يُذْكـر جَعْفرُ[2]

وكقول محمد بن وَهَيب :[3]

مـــا زالَ يُلثِمُـــنـــي مَـــراشِـفَـــه
ويـــعـلِّـنِـي الإبـــريـــقُ والـــقَـــدَحُ
حـتى اسـتـــردَّ الـليـــلُ خـلْعـتَـــهُ
وبـــدا خِـــلالَ ســـوادِه وَضَـــحُ

---

(1) انظر: منهاج البلغاء ٣١٧، ٣٢٢، وحسن التوسل ٢٥٥ والأقصى القريب ٨٣ ونهاية الأرب ٧ / ١٣٥ وتحرير التحبير ٤٣٣ والوساطة ٥٨ وسر الفصاحة ٣١٥ والجامع الكبير ١٨١ والعمدة ١ / ٣٣٦ والتبيان ١٣٨ وأنوار الربيع ٣ / ٢٠٢ وبديع أسامة ١٣٥ وسمّاه (التخلص والخروج).

(2) ديوان مسلم بن الوليد ٣١٦.

(3) محمد بن وهيب الحميري شاعر عباسي متشيع له مدائح في المأمون والمعتصم (الأغاني ١٧ / ١٤١ ومعاهد التنصيص ٢ / ٥٧).

وبَـدا الـصبـاحُ كـأنَّ غُـرَّتَـه
وجـهُ الخليفـةِ حين يُمـتَـدَحُ[1]

وكقول البحتري:

أَقِـلَّ وأَكْثِـرْ لستَ تَبْلُغُ غـايـةً
من الجُودِ إلَّا أنْ تُضَارِعَ هَيْثَما[2]

وكقـوله:

ولـوَ انَّنِي أُعْـطِيتُ فِيهِنَّ المُنَـى
لـسَقَـيْتُـهُنَّ بـكَفِّ ابـراهِيمـا[3]

التـرديد:[4]

وأَمَّا الترديدُ: فهو أنْ يعلّق الشاعرُ لفظةً في البيت بمعنىً ثم يردّها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر، كما قال زُهير:

مَنْ يَلْقَ يـوماً على عِـلاَّتِه هَـرِمـاً
يَلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدى خُلُقَا[5]

وكما قـال:

---

(١) زهر الآداب ٢ / ٥٩٨ والمصون ١٢٦.

(٢) ديوانه ٤ / ٢٠٨٨ وفيه (تبين بها حتى تضارع).

(٣) ديوانه ٣ / ١٩٦٥.

(٤) انظر: حسن التوسل ٢٦٤ ونهاية الأرب ٧ / ١٤١ وتحرير التحبير ٢٥٣ وبديع أسامة ٢٦ والعمدة ١ / ٣٣٣ وأنوار الربيع ٣ / ٣٥٩ وشرح الشريشي ٢ / ٢٣٢ وحلية المحاضرة ١ / ١٥٤.

(٥) شرح ديوانه ٥٣.

وأَحفظُ مالي في الحقوقِ وإنَّه
لجمٌّ وإنَّ الدهرَ جَمٌّ نَوائِبُهُ[1]

وهذا من أحسن كلام وأَجزله، وقال أبو نواس:

صفراءُ لا تَنزِلُ الأحزانُ ساحَتَها
لو مَسَّها حَجَرُ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ[2]

وقال ابن جَبلة[3]:

مضطربٌ يرتجُّ من أَقطارِه
كالماءِ جالتْ فيه ريحٌ فاضطربْ
إذا تَظَنَّينا به صَدَّقَنا
وإنْ تظَنَّى فوتَهُ العَيرُ كَذَبْ
لا يبلغ الجَهْدَ به راكبُهُ
ويبلغُ الريحَ به حيث طلبْ[4]

وقد يُسمَّى التعطفُ أيضاً.

التتميم[5]:

وأمَّا التتميمُ: فهو أنْ يأخذ الشاعرُ في معنىً، فيورده غير

(١) لآخر في نهاية الأرب ٧ / ١٤١ وفيه (جمّ عجائبه).

(٢) ديوانه ٦.

(٣) هو علي بن جبلة العَكَوَّك شاعر عراقي خراساني الأصل، معظم شعره في مديح أبي دلف العجلي، قتله المأمون سنة ٢١٣ هـ (الأعلام ٥ / ٧٥).

(٤) ديوانه ٣٦.

(٥) انظر: نقد الشعر ٤٦ والصناعتين ٣٨٩ وبديع أسامة ٢٧ وأنوار الربيع ٣ / ٥٢ وشرح الشريشي ٢ / ٢٣١ ونهاية الأرب ٧ / ١١٨ وسُمّي (التمام) في التبيان ١٣٧ وتحرير التحبير ٢٧ وسُمّي (الاحتراس) في العمدة ٢ / ٥٠.

مشروحٍ، فيقع له أنَّ السامعَ لا يتصوره بحقيقته، فيعُود راجعاً إلى ما قدمه فإمَّا أنْ يؤكده، وإمَّا أن يجلي الشبهة فيه ، كما قال:

أَقَمْنَا أكلُنَا أَكْلُ اسْتِلَابٍ
هُنَاكَ وشُرْبُنا شُربٌ بِدَارُ

ثم علمَ أنَّه لم يتمم المعنى وأنَّه لبَّسَهُ، فقال:

ولم يَكُ ذاكَ سُخْفاً غيرَ أنّي
رأَيتُ الشَّرْبَ سُخْفُهُمُ الوَقَارُ(1)

وقال ابن الرومي:

آراؤُكمْ ووجوهُكم وسُيوفُكم
فيْ الحادِثاتِ إذا دَجَوْنَ نُجُومُ
منها معالمُ للهدى ومَصَابحُ
تجلُو الدُّجى، والأُخرَياتُ رُجُومُ(2)

جمع المؤتلفة والمختلفة:(3)

وأَمَّا جمعُ المؤتلفة والمختلفة في بيت، فكقول امرئ القيس:

سَماحَةَ ذا، وبِرَّ ذا ووفَاءَ ذا
ونَائِلَ ذا، إذا صَحَا وإذا سَكِرْ(4)

---

(1) للبحتري في ديوانه ٢ / ٩٦٠.
(2) الطراز ٣ / ٨٨.
(3) انظر : حسن التوسل ٢٨٠ ونهاية الأرب ١٥١ وتحرير التحبير ٣٤٤ والصناعتين ٤٠١ وأنوار الربيع ٦ / ٦٩.
(4) شرح ديوانه ٨٦.

ويقال إنَّه لم يجمع واحدٌ في بيتٍ واحدٍ جماعةَ أشياء قبله.

التبيين: [1]

وأَمَّا التبيين، فكقول الفرزدق:

لقد خُنْتَ قوماً لو تُساق إليهم
طَريدَ دَمٍ أو حَامِلاً ثِقْلَ مُغْرَمِ [2]

فلو اقتصر على هذا البيت لكان جيداً، ودخل في باب ما حُذف جوابه، فلمّا احتاج إلى تَبيينه بيَّنه فقال:

لألفَيتَ فيهمُ مُعْطِياً ومُطَاعِناً
ورَاءَكَ شَزْراً بالوَشِيجِ المُقَوَّمِ [3]

فبيّنَ قوله (حاملاً ثقل مغرم) بقوله: (لألفيت فيهم معطياً)، وقوله (طريد دم)، بقوله: (ومطاعناً بالوشيج المقوَّم).

المذهب الكلامي: [4]

وأَمَّا المذهبُ الكلامي، فكقول النابغة:

ولكنَّني كُنْتُ امرءاً ليَ جَانِبٌ
من الأَرضِ فيه مستَرَادٌ ومَذْهَبُ

---

(1) وسُمّي التفسير في نقد الشعر ١٥٤ والطراز ٣ / ١١٥ والعمدة ٢ / ٣٥ والجامع الكبير ٢٢٣.

(2) ديوانه ٢ / ١٨٧.

(3) ديوان الفرزدق ٢ / ١٨٧.

(4) انظر: نهاية الأرب ٧ / ١١٤ وحسن التوسل ٢٢١ وتحرير التحبير ١١٩، وبديع ابن المعتز ١٠١ والصناعتين ٤١٠ وأنوار الربيع ٤ / ٣٥٦ ومفاتيح العلوم ٦٠ والعمدة ٢ / ٧٨ وسمّاه (التكرار).

مُلوكٌ وإخْوَانٌ إذا ما أتيتُهمْ
أُحَكَّمُ في أمْوَالِهِمْ وأُقَرَّبُ
كَفِعْلِكَ في قَومٍ أراكَ اصطَنَعْتَهم
فلم تَرَهمْ في مثلِ ذلكَ أَذنَبُوا[1]

يقول : لا تلمني في مدحي آل جَفنة، فقد أَحسنوا إليَّ، كما لو أحسنتَ إلى قومٍ فشكروا لك، لم ترَ ذلك ذنباً، وهذه طريقة الجدل، وإنَّما اتفق له لجودة القريحة وفضل التمييز.

التفويف:[2]

وأَمَّا التفويفُ: فإنَّما سُمّيَ التفويف، تشبيهاً بالبُرد المفوّف، وهو الذي يخالط وشيَه شيءٌ من البياض، والفَوفُ: بياضٌ يكون على الأظفار، وسُمّي البُرْدُ مُفوَّفاً به. وهذا النوع من الشعر هو أنْ يسهّل له مخارج الحروف، ويرفّ منه رونق الفصاحة مع الخلوّ من البشاعة، وأنْ يكون ظاهر المعنى لا يحتاج إلى إعمال الفكر في استنباط معانيه، وإنْ كان خالياً من جميع الأوصاف التي تقدمت وتأخرت عنها. كما قال جرير:

هُمُ الأخيارُ مَنْسَكَةً وهَدْياً
وفي الهَيجَا كأنَّهُم صُقُورُ
بهم حَدَبُ الكرامِ على المعالي
وفيهم عن مَساءَتِهم فتورُ[3]

---

(1) شعر النابغة الذبياني ٥٦.
(2) انظر: نهاية الأرب ٧ / ١٤١ وأنوار الربيع ٢ / ٣٠٨ وحسن التوسل ٢٦٥ والتبيان ١٣٧ وتحرير التحبير.
(3) في س : عن مساعيهم قصور.

خـلائِقُ بعضِهـم فيـهـا كَبـعضٍ
يَـؤمُّ كبيـرَهم فيـهـا الـصغيـرُ
عـن الـنـكـرَاءِ كـلُّهـمُ غَبِـيٌّ
وبـالـمعـروفِ كـلُّهمُ بَـصِيـرُ[1]

وكما قال مروان بن أَبي حفصة:

بنـو مـطرٍ يـومَ اللقـاءِ كـأنَّهم
أُسـودٌ لها في غيـل خفَّان أشبُـلُ
همُ يمنعـون الجـارَ حتى كـأَنَّمـا
لجـارهم بين السمَـاكيَن منـزلُ
همُ القومُ إنْ قالوا أصابوا وإن دُعُوا
أَجابوا وإن أَعطوا أَطابوا وأَجزلوا[2]

وكما قال ابراهيم بن العباس:

تَـطَلَّع من نفسي إليـكِ نُـوازِعْ
عـوارفُ أنَّ اليأسَ منـكِ نصيبُهـا
حَـلالٌ لليلى أنْ تـروع فؤادنـا
بهجـرٍ، ومَغفُـورٌ لليلى ذنـوبُهـا
وزالتْ زوالَ الشمسِ عن مُستقرها
فمَـنْ مُخـبري فـي أيّ أَرضٍ غروبُها[3]

---

(١) ديوانه ٢٣٤ مع خلاف يسير في الرواية، وذكر البيت الرابع قبل الثالث.
(٢) شعره ٢٥٧.
(٣) شعره ١٣٩ (في الطرائف الأدبية للميمني).

التفريـــع : [1]

وأمَّا التفريعُ: فهو أنْ يأخذ الشاعرُ في وصفٍ من الأوصاف، فيقول: ما كذا، وينعت شيئاً من الأشياء نعتاً حسناً، ثم يقول: بأفعل من كذا، كما قال الأعشى:

ما رَوْضةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعشِبَةٌ
خَضْـراءُ جادَ عليهـا مُسْبِلٌ هَـطِلُ
يُضَاحِكُ الشمسَ منها كَوكَبٌ شَرِقٌ
مُـؤَزَّرٌ بعَـميـمِ النَّبتِ مُـكتَـهِـلُ
يَـومـاً بـأَطيبَ منهـا نَشْـرَ رائحـةٍ
ولا بأَحسَنَ منها إذ دنَا الأُصُلُ[2]

وقال عبدُ بني الحسحاس:

ومَـا بيضَـةٌ بـاتَ الـظَّلِيمُ يَحُفُّهـا
ويَـرفـعُ عنهـا جُؤْجُؤاً مُتجَـافِيـا
ويـرفـعُ عنهـا وهي بيضـاءُ طَلَّةٌ
[وقدواجهت][3]قَـرْنـاًمن الشَّمسِ ضَاحِيا

ويجعَلُهـا بينَ الجَـنَـاحِ ودفِّهـا
ويُلحِفُهـا وَحْفاً من الـريش وَافِيـا

---

(١) انظر : تحرير التحبير ٣٧٢ والعمدة ٢ / ٤٢ وأنوار الربيع ٦ / ١١١ ونهاية الأرب ٧ / ١٦٠.

(٢) ديوانه ١٤٥.

(٣) فراغ في ظ، والتكملة من س وديوان سحيم.

بـأَحْسَنَ منهـا يـومَ قـالتْ أَرائِـحٌ
مع الرَّكْبِ أَمْ ثَاوٍ لدينـا ليَالِيـا[1]

وهذا البابُ كثيرٌ في أَشعارهم.

التسميـــط : [2]

وأَما التسميطُ ، فهو اعتماد الشاعر تصيير[3] مقاطع الأَجزاء في البيت على سجعٍ أو شَبهٍ به، أو من جنسٍ واحدٍ في التصريف والتمثيل، وإنَّما سُمِّي تسميطاً تشبيهاً بالسمط في نظمه وحسن رصفه، وهو كقول امرئ القيس:

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقْبِـلٍ مُـدْبـرٍ معـاً
كجُلْمُـودِ صَخْـرٍ حَـطَّهُ السَّيـلُ من عَلِ[4]

فأَتى باللفظتين الأُوليين مسجوعتين في تصريف واحد، وجاء بالتاليتين شبيهتين بهما في التعديل والتمثيل. والمرادُ من هذا أنْ تكون الأَجزاء متوالية وأنْ تكون مسجوعة.

التصريـــع : [5]

وأَمَّا التصريعُ: فهو أنْ يقصد الشاعرُ لتصيير مقطع المصراع الأَول في البيت الأَول من القصيدة كمقطع المصراع الثاني، وقد

(١) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ١٨ مع خلاف يسير في الرواية.
(٢) انظر : نهاية الأرب ٧ / ١٤٧ وحسن التوسل ٢٧٢ وتحرير التحبير ٢٩٥ .
(٣) في س : بتسيير.
(٤) شرح ديوانه ١٣٣ .
(٥) انظر : تحرير التحبير ٣٠٥ وسر الفصاحة ٢٢١ والجامع الكبير ٢٥٤ وأنوار الربيع ٥ / ٢٧١ ونقد الشعر ٥١ وسمّاه (نعت القوافي).

فعل ذلك المتقدمون والمحدَثون، حتى إن بعضهم ربما صرَّع من القصيدة الأبيات[1]، يدلُّ بذلك على اقتداره وسعة تبحره، ودقة فكره، ورحب باعه، وتوقد ذكائه، ويدلُّكَ على ذلك قولُ أَبي تمّام:

. . . . وإنَّما يَرُوقُكَ بيتُ الشِّعْرِ حينَ يُصَرَّعُ[2]

قال امرؤ القيس وهو أوسعهم مذهباً في هذا الباب:

قِفَا نَبكِ من ذكـرى حبيبٍ ومنزلِ
بِسِقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخُولِ فَحَومَلِ[3]

ثم قـــال:

أَفَـاطِمَ مَهـلاً بعـد هـذا التَّـدَلـلِ
وإنْ كُـنـتِ قــد أَزْمَــعـتِ صَــرْمــي فأَجْمِلي[4]

ثـم قـــال:

أَلا أيُّها الليلُ الـطويلُ ألا انجَـلِ
بصُبحٍ وما الإصبَاحُ مِنكَ بأَمْثَلِ[5]

وأَحسن ما يكون التصريع في أثناء القصيدة، إذا كان الشاعر متنقلاً من وصف إلى غيره.

---

(١) هامش في ظ : أي تكون القصيدة ذات المطالع وهذا عند الأعاجم طريقة مسلوكة.

(٢) ديوانه ٢ / ٣٢٢، وصدره (وتقفو إلى الجدوى بجدوى وإنّما).

(٣) شرح ديوانه ١٢٤.

(٤) شرح ديوانه ١٢٨.

(٥) شرح ديوانه ١٣٢.

التضميـــن :[1]

وأَمَّا التضمينُ فقد لهج جماعةٌ من المتأخرين به، واستكثروا، فمنهم من يـورد البيت بأَسـره والبيتين، ومنهـم مَنْ يقتصر على الأنصاف، ومنهم مَنْ يأتي بالأرباع وبما دون ذلك، ومنـه قولُ الحماسي :

وقــائلةٍ والــدمــعُ سكـبٌ مبــادرٌ
وقد شرقت بالدمع منها المحـاجرُ

وقد أَبصرتْ حِمَّانَ من بعدِ أُنسِها
بنـا وهي منّـا مــوحشـاتٌ دواثــرُ

(كــأنْ لم يكن بيــن الحــجُـونِ إلى الـصفــا
أَنيسٌ ولـم يَسمُــر بمكــةَ ســامـرُ)

فقلتُ لهــا والقلبُ منّي كــأَنَّمــا
يُقَلِبُــهُ بين الـجــوانــحِ طــائــرُ

(بلى نحن كنـا أهلَهـا فــأَبـادنــا
صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ)[2]

وقال أبو تمام :

---

(١) انظر : نهاية الأرب ٧ / ١٢٦ وحسن التوسل ٢٣٨ والأقصى القريب ١٠٢ والعمدة ٢ / ٨٤ وتحرير التحبير ١٤٠ وبديع ابن المعتز ١١٤ وبديع أسامة ١٢١ والتبيان ١٤٧ وحدائق السحر ١٧٤ والجامع الكبير ٢٣٢ وشرح الشريشي ٣ / ١٨٧ وأنوار الربيع ٢ / ٢١٧ (وسماه الاقتباس).

(٢) في الموشح لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٣٥٠ والبيتان الثالث والخامس من قصيدة لمضاض الجرهمي يتشوق لمكة (معجم البلدان ٢ / ٢١٥).

قَتلَتْــهُ سِــرّاً تـم قــالتْ جَـهْــرةً
قَــوْلَ الفَرَزدقِ: لا بِـظَبيٍ أعفَرِ[1]

وقال الأخيطل الأهوازي:[2]

ولقــد سَمَـا للخُـــرَّمِيّ فلم يَقُـلْ
عند الوغاء لها: تَضايقَ مُقْدَمى[3]

وقال أبو هِفَّان:[4]

بـل لـو رأيتَ العــاشِقينَ بِبَـابــهِ
من بين مَــدعُــوٍّ بــه ومُــطَفّــلِ
لـذكـرتَ بيتـاً قـالَـهُ حَسّـانُ في
أولَادِ جَفنَــةَ في الــزَمــانِ الأَول

---

(١) ديوانه ٤ / ٤٥١، وقال التبريزي في شرح الديوان: وروي في شعر الفرزدق وروي لغيره:

(أقــول لــه لـمــا أتــاني نـعيّــه   بـه لا بظبي في الصـريمة أعفـرا)

(٢) وهو محمد بن عبد الله بن شُعيب مولى بني مخزوم، من أهل الأهواز قدم بغداد ومدح محمد بن عبد الله بن طاهر، وهو ظريف مليح الشعر يسلك طريق أبي تمام ويحذو حذوه، وكان يهاجي الحمدوني (معجم الشعراء ٣٧٦).

(٣) بديع ابن المعتز ٦٤ ولمسلم بن الوليد في بديع أسامة ٢٤٩ وفيه تضمين للجزء الأخير من قول عنترة:

(إذ يتقــون بي الأسنــة لـم أخم   عنهــا ولكني تضــايق مقــدمي)

(٤) هو أبو هِفَّان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي العبدي شاعر بصري سكن بغداد وكان راوية أديباً عالماً وتوفي سنة ٢٥٧ (الأعلام ٤ / ١٨٨).

(يُغشَــونَ حتى لا تَهـرُّ كِــلاَبُهُمْ
لا يَسأَلُونَ عن السُّوَّادِ المُقبلِ)[1]

القَسَــم : [2]

وأمّا القَسمُ: فهو أنْ يقسم الشاعر، أو يحلِّف غيره بأقسام تتعلق بغرضه المقصود معتمداً بذلك الإبداع فيما ينظم، كما قال الأشتر النخعي: [3]

بَقَّيْتُ وَفْـرِي وانحرَفتُ عن العُلَى
ولَقِيتُ أَضْيَــافِي بـوَجْــهِ عَبُــوسِ

إنْ لم أشُـنّ على ابن حربٍ غَارَةً
لم تخلُ يوماً من ذهاب نفوس[4]

وقال أبو علي البصير: [5]

أَكذَبــتُ أَحسنَ مـا يَــظُنّ مُؤَمِّلي
وهَـدَمتُ ما شَادَتْهُ لي أَسْـلاَفِي

---

(١) لم أعثر عليها.

(٢) انظر: حسن التوسل ٢٧٦ ونهاية الأرب ٧ / ١٥٠ وتحرير التحبير ٣٢٧ وأنوار الربيع ٣ / ٢٠٩ والطراز ٣ / ١٥٤.

(٣) مالك بن الحارث المعروف بالأشتر النخعي شاعر فارس شجاع شارك في الفتوحات الإسلامية وكان من أنصار الامام علي ومؤيديه، توفي سنة ٣٧ هـ (الأعلام ٦ / ١٣١).

(٤) في س (شعواء قد ضمنت ذهاب نفوس) والبيتان في المصادر المذكورة في الحاشية ٣ موافقان لرواية ظ.

(٥) مرَّ التعريف به سابقاً.

وعَــدمتُ عَـادَاتِي التي عُــوّدتُهـا
قِــدمـاً من الإتــلاَفِ والإخِـلاَفِ
وصَحِبتُ أَصحَابِي بعرض معرضٍ
مُـتـحـكّـم فـيــه بـمَــالٍ وافِ
وغَضضتُ من نَارِي ليَخفَى ضَوْؤُها
وقَـرَيتُ عُـذَراً كـاذبـاً أضيـافي[1]
إنْ لم أَشُنَّ على عليٍّ[2] غارةً[3]
تضحـي قذىً[4] في أعـين الأَشراف[5]

الإعنـــات: [6]

وأمَّا الإعناتُ[7]: فهو أنْ يلتزم الشاعر في القوافي ما لا يلزمه، إبانةً عن اقتداره وتوسعه، وفسحة مجال فكره، وهذا المذهبُ على ضروبٍ كثيرة، منها قولُ الحطيئة:

أَلا مَنْ لقـلبٍ عــارمِ النَـظَرات
يُقـطّعُ طـولَ الليــل بـالـزفـراتِ

---

(١) في س: وافد الأضياف.
(٢) في س: على ابن جهم.
(٣) في ظ: خلّةً.
(٤) في س: تجلو القذى عن.
(٥) لأبي علي البصير في هجاء علي بن الجهم في نهاية الأرب ٧ / ١٥٠ وخزانة الأدب للحموي ١٤٥.
(٦) انظر: حسن التوسل ٢٢٠ ومفاتيح العلوم ٦١ ونهاية الأرب ٧ / ١١٣.
(٧) هامش في ظ: وسميّ لزوم ما لا يلزم.

إذا ما الثريَّا آخر الليل أعنَقَتْ
كُواكِبُها[1] كالجِزْعِ مُنْحدِرَاتِ[2]

فجاء بالراء في جميعها قبل حروف الردف، وهي غير لازمة، ومنها قول حسان بن ثابت وقد التزم الحرف الذي بين ألف التأسيس والرويّ، وأعاده بعينه في قصيدته التي يقول فيها:

بكلِّ كُمَيْتٍ صَوْرُهُ نِصفُ خَلْقِهِ
وَقُبٍّ طِوَالٍ مُشرِفاتِ الحَوَارِكِ[3]

وقد التزم ابن الرومي في هذا ما لا يلزمه، فالتزم في حرف الردف الياء دون الواو، والواو دون الياء، وكَسَرَ في قصائد ما قبل حرف الروي، ولم يفتح ولم يَضُمّ، وضَمَّ في بعضها ولم يكسر ولم يَفتح، وفَتَحَ في بعضها ولم يَضُمّ ولم يكسر.

تجاهل العارف:[4]

وأَمَّا تجاهل العارف، فكقول زُهير:

ومـا أَدْرِي وسَوفَ إخَالُ أَدري
أَقومٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِساءُ[5]

(١) في ظ: كواكبه
(٢) ديوانه ١١٢.
(٣) شرح ديوانه ٢٩٣ وفيه (جوزه نصف خلقه) أي عظيم البطن.
والصوران: منتهى الشدقين في الفرس (اللسان، صور، صمغ).
(٤) انظر: حسن التوسل ٢٣١ والتبيان ١٨٩ ومفاتيح العلوم ٦١ والطراز ٣ / ٨٠ ونهاية الأرب ٧ / ١٢٣ وبديع ابن المعتز ١١١ والصناعتين ٣٩٩ وبديع أسامة ٤٧ وتحرير التحبير ١٣ وأنوار الربيع ٥ / ١١٩.
(٥) شرح ديوانه ٧٣.

وقول الآخر:

بـالله يـا ظَبيَـاتِ القـاعِ قُلْنَ لنـا
ليلايَ منكنَّ أمْ ليلَى من البَشَرِ[1]

الهَزْلُ الذي يُرادُ به الجدّ:[2]

وأَمَّا الهزلُ الذي يُراد به الجدّ، فكقول الشاعر:

إذا مـا تَمِيميٌّ أَتَـاكَ مُـفَـاخِـراً
فـقـلْ عَـدِّ عـن ذا، كـيـفَ أكـلُكَ للضَبِّ[3]

أَجناسُ الشعر الخمسة:

وأعلمْ أنَّ أكثر ما يرد اللطيف من المعاني في خمسة أَجناس من الشعر، وهي: مَثلٌ سائرٌ، وتشبيهٌ نادر[4]، واستعارةٌ واقعة، ومبالغةٌ، وأنْ يقصد الشاعر إلى معنى مألوف فيزيد فيه زيادةً تؤكده أو تتمّمه، فيصير إلى اللطافة والحسن. وهذا الجنس الخامس تكثر أنواعه جداً، ويحتاج إلى أدنى تأملٍ حتى يُعرف إذا ورد، ويردُ جميعه إلى هذا الأَصل.

---

(١) للعرجي في ديوانه ١٨٢.

(٢) انظر: التبيان ١٨٩ والطراز ٣ / ٨٢ وبديع ابن المعتز ١١٢ وتحرير التحبير ١٣٨ ونهاية الأرب ٧ / ١٢٤ وحسن التوسل ٢٣٢ وأنوار الربيع ٢ / ١٦٦.

(٣) لأبي نواس في ديوانه ٧٠.

(٤) هامش في ظ (لم يذكر في ن): ومن عرف التشبيه وأقسامه وتفاصيله وأحكامه عرف بلا أداة التشبيه هذا التشبيه الذي ليس له شبيه.

المَثَلُ السَائِرُ:[1]

فمن الأمثال قولُ امرئِ القيس:

مِنْ ذِكْرِ سَلمى وأينَ سَلمى
وخَيْرُ ما رُمْتَ ما يُنالُ[2]

وقول النابغة:

حلفتُ فلم أَتركْ لنَفسِكَ ريبةً
وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذهبُ[3]

وأشرفُ من هذا لفظاً، وأبرع معنىً، ما اشتمل على معنيين ومَثلين كقول النابغة:

ولستَ بمُسْتَبقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ
على شعَثٍ، أيُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ[4]

فجاء بمَثَلين، وكقول عَبيد بن الأَبرص:

الخيرُ أَبقى وإنْ طالَ الزمانُ به

فهذا مثلٌ قائمٌ بنفسه، ثم قال:

والشَرُّ أَخبث ما أَوعيتَ من زادِ[5]

---

(١) انظر: نهاية الأرب ٧ / ١٢٧ والعمدة ١ / ٢٨٠ وسر الفصاحة ٢٢١ وأنوار الربيع ٢ / ٥٩ وتحرير التحبير ٢١٧ وحلية المحاضرة ١ / ٢٤١.

(٢) شرح ديوانه ١٦٢ وفيه : (ليلى) بدلاً من سلمى.

(٣) شعره ٥٦.

(٤) شعره ٥٧.

(٥) لم يذكر في ديوانه، وذكره المحقق في المقدمة نقلاً عن الأغاني منسوباً لطائف من الجنّ.

فأتى بمَثلٍ ثانٍ.

وكقول طرفة:

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ ما كُنْتَ جَاهِلاً
ويَـأتيكَ بـالأخبـارِ مَنْ لم تُـزَوِّدِ[1]

فجاء بِمَثَلَين، وقال الحطيئة:

مَنْ يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعدَم جَوازيَـهُ

فهذا مَثَلٌ بارعٌ، وقوله:

لا يَذهبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنّاسِ[2]

[مَثَلٌ سائر][3]. ونحوه قول القُطَامي:[4]

والنَّـاسُ مَنْ يَلْقَ خَيراً قـائلُونَ له
مـا يَشْتَهي . . . .

فهذا كلام كاملٌ، ثم قال:

ولأُمِّ المُخطِىءِ الهَبَلُ[5]

فأتى بمَثل آخر في بعض مصراع.

ومما فيه ثلاثة أمثال قولُ بشار:

---

(١) ديوانه ٤٨.

(٢) ديوانه ١٠٩.

(٣) ساقط من س.

(٤) القُطامي : هو عُمَير بن شُيَيم التغلبي والقطامي لقبه، شاعر فحل كان نصرانياً فأسلم وعرف بالغزل وتوفي سنة ١٣٠ هـ (الأعلام ٥ / ٢٦٤).

(٥) ديوانه ٢٥

اليــومُ خَمــرٌ . . . . . .
فهذا مَثَلٌ :

. . . . ويبدو في غَدٍ خَبَرٌ

مَثَلٌ ثانٍ :

والـدَّهْرُ مـا بينَ إنْعَامٍ وإبْآسِ[1]

مثَلٌ ثالثٌ .

التشبيــه :[2]

وأَمَّا التشبيه ، فنحو قول امرىء القيس :

كأَنَّ قُلُوبَ الطير رَطباً ويَابِساً
لــدى وكْــرِهــا الـعُنَّــاب والـحَشَـفُ البَالِي[3]

وقــول عنتــرة :

هَــزِجـاً يحُــكُّ ذراعَـه بــذرَاعِـه
قدح المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجذمِ[4]

وقول طرفة :

(١) ديوانه ٤ / ٨٥ .

(٢) انظر : نهاية الأرب ٧ / ٣٨ وحسن التوسل ١٠٦ والأقصى القريب ٤١ وتحرير التحبير ١٥٩ وبديع ابن المعتز ١٢١ ونقد الشعر ٣٦ والعمدة ١ / ٢٨٦ والوساطة ٤١ والصناعتين ٢٣٩ وسر الفصاحة ٢٣٥ وأنوار الربيع ٥ / ١٩٥ وحلية المحاضرة ١ / ١٧٠ .

(٣) شرح ديوانه ١٤٦ .

(٤) شرح ديوانه ١٤٥ .

يَشقُّ حبابَ الماءِ حَيْزومُهَا بـه
كما قَسَمَ التربَ المُفايلُ باليَدِ[1]

وقول كعب بن زهير:

وليلةِ مُشْتاقٍ[2] كأنَّ نُجومَها
تَعَرَّضنَ منها في طَيالِسَةٍ خُضْرِ[3]

وقول حُميد بن ثور[4] يصف فرخ الحمامة:

كأَنَّ على أَشداقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ
إذ هُوَ مَدَّ الجِيدَ منه ليَطْعَما[5]

وقول عَدِي بن الرقاع:

يَتَعاوَرانِ من الغُبارِ مُلاءَةً
سَوداءَ محكمةً هُما نَسجَاهَا[6]
تُطوَى إذا عَلَوا مكَاناً نَاشِزاً
وإذا السنَابِكُ أسهلتْ نَشَراهَا[7]

وقول آخر يصف عناقيد العنب:

---

(١) ديوانه ٨.

(٢) في س: وليلة وسنان.

(٣) شرح ديوانه ٢٥٩.

(٤) في س: حميد بن الأرقط.

(٥) ديوان حميد بن ثور ٢٥، وفي س (إذا هو دانى أمّه لطعامها) والحنوة: نبت طيب الرائحة.

(٦) في س: (من ما أثرّ نسجاها).

(٧) في س (وإذا هما نزلا الثرى نشراها)، والبيتان في نقد الشعر ١٣٩ موافقان لرواية ظ.

يحملنَ أوعيــةَ المُـــدام كــأنَّمــا
يحملنَهـــا بــأَكــارِع الــنُّغْــرَانِ[1]

وقول أوس بن حجر[2] يصف الهلال:

كــأنَّ ابــنَ لــيـلَتِـهــا جَـانِــحــاً
فَسِيطٌ لــدَى الأُفْقِ من خِنْصِـرِ[3]

وقول ذي الرمّة يصف الثريا:

وَرَدْتُ اعتِسَــافــاً والثُّــريَّــا كــأنَّهــا
على قمَّةِ الرأسِ ابنُ مَاءٍ مُحلِّقُ[4]

وقول عبد الله بن الزَّبير الأَسدي:[5]

وقـد خَـزمَ الغَـور الثـريـا كـأنَّهـا
بــه رايــةٌ بيضــاءُ تخفقُ للطعن[6]

وأجد الناس يقدمون قول الفرزدق [في الشيب][7]

---

(١) في س (يحملن أرواح النفوس الجنّح) والبيت لأعـرابي في عيون الأخبـار ٢ / ١٨٦ واللسان (نغر) موافق لرواية ظ. والنغران جمع نغر وهو طائر كالعصفور أحمر المنقار، وقيل هو البلبل.

(٢) هذا وهم من المؤلف فليس الشعر لأوس ولا هو في ديوانه.

(٣) لعمر بن قميئة في ديوانه ٧٩: والفسيط: قلامة الظفر.

(٤) ديوانه ٤٠١.

(٥) عبد الله بن الزَّبير بن الأشيم الأسدي من شعراء الأمويين المتعصبين لهم كوفي المنشأ والمنزل، هجّاءٌ خبيث اللسان، وقد انقطع لمصعب بن الزبير ومدحه بعد ذلك، وتوفي سنة ٧٥ (الأعلام ٤ / ٢١٨).

(٦) في س (راية بيضاء تنشر في الأفق) والبيت في شعر عبدالله بن الزَبير ٦١ وعيون الأخبار ٢ / ١٨٦.

(٧) زيادة من س.

والشَّيبُ يَنْهَضُ في الشَّبابِ كأنَّـه
لَيْـلٌ يَصِيحُ بجَـانبَيْـهِ نَهـارُ[1]

وهذا من الكلام الذي سبق معناه لفظه، ولهذا لا يعرّج أحدٌ على تأمل ألفاظه ونـظمه، فيستبين عـواره، وترتيبـه عندي غيـر مستقيم، وتشبيه مستحيل[2] لأنَّه وصف ما ابتدأ به، ووصف الشباب وشبهه بالليل ولم يجىء بالكلام على التقسيم[3] المستوي، ولم يضع التشبيه في ظاهر اللفظ موضعه، وكان الذي تقتضيه المقابلة الصحيحة، وتوجبه على ما بنى عليه بيته لو ساعده الوزن[4] أنْ يقول: والشيب ينهض في الشباب كما ينهض نهارٌ في جانبي ليلٍ، لأنَّ النهار هو الذي يُشبه السواد[5] ولكنه لمّا لم يَطّرد له الوزنُ، ترك ذكـرَ ما ابتـدأ به، وعلق الكـلام [بالشبـاب][6] وأخرج التشبيـه معكوساً[7].

الاستعارة والمبالغة:

وأَمَّا الاستعارةُ والمبالغةُ، فقد تقدم الكلامُ فيهما وفي إيراد مثليهما[8].

---

(١) ديوانه ١ / ٣٧٢ وفيه (في السواد).
(٢) في س: وتشبيه غير تام.
(٣) في س: التتميم.
(٤) في س: وتوجبه العناية في التشبيه.
(٥) في س: يذهب بالسواد.
(٦) ساقطة من س.
(٧) في ظ: منكوساً.
(٨) في س: في مثاليهما.

المعنى الذي تلحقه زيادة تؤكده:

وأمَّا المعنى الذي تلحقه زيادة تؤكده[1] فنحو قول امرىء القيس:

إذا رَكِبُـوا الخيـلَ واستَـلأمُـوا
تحـرَّقَتِ الأرض واليـومُ قَـرْ[2]

فقوله (واليوم قَرّ) زيادة تمَّ بها المعنى وكمل.

ونحو قوله:

وجِيدٍ كجيدِ الرِّئمِ ليسَ بفَاحشٍ[3]

فقوله (كجيد الرئم) أرادَ طوله كما جرت عادات العرب في أن يشبهوا جيد المرأة[4]، إذا كان طويلاً بجيد الظبي.

فلمّا قال: (ليس بفاحش) نفى عن جيدها أن يكون دقيقاً فيه انحناء[5]، لأنَّ فحش جيد الظبي إنما هو كذلك[6]، ومثله قول طَرَفَة:

فَسَقَى ديارَكَ غيرَ مُفْسدِها[7]

---

(١) في س: يزاد فيه زيادة مؤكدة.
(٢) شرح ديوانه ٧٧.
(٣) شرح ديوانه ١٣٠ وعجزه: (إذا هي نصَّته ولا بمعطل).
(٤) في س: شبه طوله بجيد الريم على عادة العرب في تشبيه جيد الفتاة.
(٥) في س: كجيد الظبي فاحشاً.
(٦) في س: لا يليق بالفتاة.
(٧) ديوانه ٩٧ وعجزه: (صوب الربيع وديمة تهمي).

[فلو لم يزد غير مفسدها][1] لما كمل المعنى ولعيب عليه كما عيب على ذي الرِّمةِ[2]

أَلَا يا اسْلَمِي يا دَارَمَيّ على البِلَى
ولا زالَ مُنْهَلًّا بِجَرْعائِكِ القَطْرُ[3]

فقيل له: إذا لم يزل القطرُ منهّلاً عليها عفَّى آثارها، ودرس معالمها. وهذا العيبُ عندي غير لاحق به، لأنَّه تكلم على عادة الشعراء في سقيا ديار أحبابهم، وقد ابتدأ بأنْ دعا لها[4] بالسلامة على البلى، وإذا سلمت على البلى، سلمت على انهلال القطر. ومن سبيل الشاعر أنْ يجتنب في شعره استعمال مذهب واحد من مذاهب الصناعة، وأن يتحرى إن كان يذهب إليها الأَخذ من أطراف أبوابها والإسهام لقصيدته في كل نوع من أنواعها[5] حتى لا يتخلص للتجنيس وحده، ولا للتطبيق وحده، ولا لضرب من ضروب الصنعة، منفرداً من دون غيره، فإنَّه إذا[6] تحرى ذلك، عذبت ألفاظه وأسمحت أبياته، وتسهلت حزون الشعر عليه، وسالت أحرار المعاني إليه، ومتى أفردها بنوعٍ من أنواعها نَبت عن الأَسماع فمجَّتها[7]، وثقلت على ألسنة الرواة فلم تروها.

---

(١) ساقطة من ظ، وهي في س.
(٢) في س: كما عيب على من قال.
(٣) ديوانه ٢٠٦.
(٤) في س: أحبتها بالدعاء لها، والدعاء لها أيضاً.
(٥) في س: يريد البلاغة أنْ لا يكثر نوعاً من أنواعها في قصيدته.
(٦) في س: فمتى.
(٧) في س: ومجّتها الطباع.

المختارُ من الشعر ومذاهبُ العلماء فيه:

[هذا وقد][1] ذكرتُ من وجوه الصنعة وضروبها ما ذكرتُ وأقولُ الآن[2]: إنَّ المختار من الشعر هـو: القريب البعيـد، الوحشي المستأنس، الدّمث الوعث، البدوي الحضري، المجيب المتأَبي، الممتنع المتأتي. على أنَّ مذاهب العلماء في اختيار الشعر متباينة. وآراءَهم فيه متفاوتة، وأهواءَهم مختلفة. فمنهم مَنْ لا يميل إلاَّ إلى ما سهل وانقاد، وذلَّ على اللسان ودلَّ عند استماعه على المراد[3].

ومنهم من يميل إلى ما انغلق معناه، وخفي غرض قائله فيه ومغزاه، وصعب استخراجه وتعذر، فلم يُنْقَد إلاَّ بعد طول فكرٍ ونظر، وهم[4] أصحاب المعاني.

ويذهب قوم[5] إلى أنَّ أَحسن الشعر ما كان مطابقاً للصدق، وموافقاً للوصف، وما كان بالحق أشبه، وإلى الصواب أقرب ويروون شعراً[6].

وإنَّ أحسـنَ بَيـتٍ أَنـتَ قـائِـلُهُ
بيتٌ، يُقالُ إذا أَنْشَدْتَهُ صَدَقـاً[7]

---

(١) زيادة من س.

(٢) في س: ما فيه الكفاية لذوي العناية وأقول.

(٣) في س: لما كان سهلاً على اللسان، قريب المراد من فهم الانسان.

(٤) في س: إلى ما يكون غريب اللفظ، بعيد المغزى، يصعب استخراج معناه ولا يفهم إلاَّ بعد تأمل وتفكر وتحقيق وتدقيق وهؤلاء.

(٥) في س: ومنهم من يميل.

(٦) في س: كما قال الشاعر.

(٧) لحسّان في ديوانه ٢٩٢.

ويختار قومٌ[1] ضد هذا المذهب ويذهبون إلى أنَّ[2] الغلو في قول الشعر أَصوب، وأَنَّ الإبلاغ فيه أوجب، والإفراط فيه أَحسن[3] حتى قال بعضُهم: (إنَّ أَحسن الشعر أكذبه)[4]، وهذا مذهبُ أكثر المُحدَثين[5] من عهد بشارٍ ومَن بعده. وفصلُ القول: إنَّ الإغراق في وصف ما يوجد شيءُ منه مستحسن [فلهذا قيل أحسن الشعر أكذبه][6]، أَمَّا إذا لم يوجد منه شيءُ أصلاً، كوصف الزنجي بنقاء اللون وزهرته، ومدح الرجل الأُمي بجودة الخط وسرعته فيه، فلا يكون إلَّا ذمّاً فكيف يُحمد فيه.

وذهب أكثر شعراء المُحَدثينْ[7] إلى أنَّ أَحسن الشعر ما كان أكثر صنعة وأن يُتوخى[8] من البلوغ في تجويده النهاية المطلوبة، وقالوا: لمَّا كانت حدود الشعر أربعة، وهي: اللفظ والمعنى والوزن والتقفية، وجبّ أنْ يُكسى أَحسنَ الأَلفاظ، ويبرز في أَحسن المعارضْ، وأنْ يُتخير[9] له أَحسنَ المعاني، وأَنْ يكون سهل العروض، رشيق الوزن،

---

(١) في س: ومنهم من يميل.
(٢) في س: ويختار.
(٣) في س: أطيب.
(٤) العمدة ٢ / ٦١ وقد نسبه الثعالبي في الإعجاز والإيجاز إلى حجر بن عمرو الكندي والد امرىء القيس.
وفي س: الشعر أعذبه أكذبه.
(٥) في س: وهؤلاء المحدثون.
(٦) ساقطة من س.
(٧) في س: العصر.
(٨) في س: متوخى.
(٩) في س: يتوخى.

مُتَخير القافية، رائع الابتداء، بديع الخروج، وما تعدَّى هذا النعت وخلا منه، سُمِّي الشعر المرسل والوسط والسليم.

ويميلُ قومٌ من أَهل اللغة والغريب إلى الرصين من الشعر، والذي يجمع الغريب من المعاني، وهذا مذهب خلف الأحمر وأَبي عمرو[1] والأَصمعي، ومنهم[2] من يذهب إلى الوحشي من الشعر، وإلى ما لم يُتداول.

ويُقال: إنَّ المنصور أَمَر بتتبع هذا الفن منه[3]، فجمع له المفضَّلُ[4] اختياره.

ومنهم من يُفضِّل الشعر بقائله، فيختار أشعار الفرسان [والسادات] والأَشراف، ورؤساء الحروب. ومن ذلك قول الصَّلَتَان العَبْدي:[5]

وَيَرْفَعُ من شِعْرِ الفَرزدق أَنَّه
له بَاذِخٌ لِذِي الخَسيسَةِ رافعُ

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء واسمه زبّان بن عمار المازني البصري، توفي في طريق عودته من الشام سنة ١٤٥ هـ وهو أحد القراء السبعة المشهورين وكان عالماً بالشعر واللغة والأدب (الفهرست ٢٨ ونزهة الألباء ١٥).

(٢) في س : ومن هؤلاء.

(٣) في س : يتبع هذا الرأي.

(٤) هو المفضّل الضبيّ وقد مرَّ التعريف به، واختياره مشهور باسم المفضّليات.

(٥) هو قُثم بن خبيّة، شاعر مشهور خبيث اللسان، حكم بين جرير والفرزدق وتوفي سنة ٨٠ هـ (الأعلام ٦ / ٢٩).

جَـريـرٌ أشـدُّ الشـاعِـرَيْنِ شكيمَـةً
ولكنْ عَلَتْـهُ البَاذِخـاتُ الفَوارِعُ[1]

محاورة البحتري للنوبختي:[2]

وحدَّث علي بن العباس النوبختي[3]، قال: رآني البحتري يوماً ومعي دفترٌ فقال: ما هذا؟ قلتُ: شعر الشَّنفَرَى. قال: وإلى أين تمضي؟ قلتُ: إلى أبي العباس ثعلب أقرؤه عليه. فقال: قد رأيتُ أَبا عباسكم هذا منذ أَيامٍ عند ابن ثَوَابَة[4]، فما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً للألفاظ، ورأيته يستجيد وينشد شيئاً وما هو بأفضل الشعر. فقلت له: أَمَّا نقده وتمييزه فهذه صناعة أُخرى. ولكنه أَعرف الناس بإعراب الشعر وغريبه، فما كان يُنشِد؟ قال: قول الحـارث بن وَعْلة:[5]

قَــومِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْـمَ أَخي
فــإذا رَمَـيْتُ يُـصِيـبُنـي سَـهْـمِـي

---

(١) الشعر والشعراء ١ / ٥٠١.

(٢) هذه المحاورة في المصون في الأدب ٤ ـ ٥ ودلائل الإعجاز ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٣) أبو الحسن علي بن العباس النوبختي من مشايخ الأدب في عصره، عاش طويلاً وروى من أخبار البحتري وابن الرومي بالمشاهدة، وله شعر حسن (الأعلام ٥ / ١١١).

(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة الكاتب، تولى كتابة الإنشاء في دار الخلافة بسامراء سنين كثيرة ومات سنة ٢٧٧ هـ (الفهرست ١٨٧).

(٥) في س: الحارث بن حلزة، وهو وهم، والحارث بن وعلة الذهلي شاعر جاهلي من شعراء المفضليات، وهو غير الحارث بن وعلة الجرمي (المؤتلف والمختلف للآمدي ٣٠٣).

فَـلَئِـنْ عَـفَـوتُ لأَعـفُــون جَـلَلاً
ولَئن سَــطَوتُ لأُوهِنَنْ عَـظمِي[1]

فقلتُ: والله ما أَنشدَ إلَّا أَحسن شعر في أَحسن معنى ولفظ. فقال: فأَين الشعرُ الذي فيه عروق الذهب؟ قلتُ: مثل ماذا؟ قال: مثل قول أَبي ذؤاب بن رُبَيِّعة الأَسدي:[2]

إن يقتلوكَ فقـد هتكتَ بيـوتهم[3]
بعُتيبــةَ[4] بن الحَـارثِ بن شهــابِ
بـأَشـدِّهم كَلَبَاً[5] على أَعـدائِــه
وأَعزِّهم[6] فَقداً على الأَصحـابِ[7]

قال: فإذا هو لا يعجبه[8] من الشعر إلَّا ما وافق طبعه معناه ولفظه.

صناعـة الشعــر:[9]

والشعر أيدكم الله، علمٌ من علوم العرب، يشترك فيه الطبعُ والرويّة، والذكاءُ والفطنة، ثم تكون الدربة عادةً وقوة لكل واحد من

---

(١) المؤتلف والمختلف ٣٠٣ وشرح الحماسة للمرزوقي ٢٠٤.
(٢) صواب الاسم: ابو ذُؤاب رُبَيّعة بن أسعد الأسدي، وابنه ذؤاب قاتل عتيبة بن الحارث (المؤتَلف والمختلف ١٨٣).
(٣) في س: ثللت عروشهم.
(٤) في س: بقتيبة.
(٥) في س: طلباً.
(٦) في س: وأضرهم.
(٧) المؤتلف والمختلف ١٨٣.
(٨) في س: لا يستجيد.
(٩) انظر: العمدة ١ / ١٢٢ والوساطة ١٥ وعيار الشعر ٥ ومنهاج البلغاء ٢٠٣.

أسبابه. فمتى اجتمعت للشاعر هذه الخصال فهو المُحسن[1] المبرّز. وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان، ولستُ أُفضّلُ في هذه القضية بين القديم والمُحدَث، والجاهلي والمخضرم، والأعرابي والمُوَلَّد. إلَّا أني أرى حاجة المُحْدَث إلى الرواية أشد، وأَجده إلى كثرة الحفظ أَفقر. لأَن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول أَلفاظ العرب إلَّا روايةً، ولا طريق إلى الرواية إلَّا السمع، ومِلَاكُ السمع الحفظُ، ويُحَبُّ[2] للشاعر إذا أراد نظم قصيدة أَنْ يمخض المعنى الذي يريد بناءَ الشعر عليه، في فكره نثراً، ويعدَّ له ما يكسوه من الأَلفاظ التي تجانسه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس القول عليه، فإذا اتفق له بيتٌ يشاكل الغرض الذي رماه، أَثبَتَهُ، وشغل[3] القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير ترتيب الشعر، بل يُعلِّق ما يتفق[4] له نظمه، وإنْ لم يكن مناسباً لما قبله. فإذا تكاملت له المعاني وكثرت الأَبياتُ، تكون سلكاً لها، ورباطاً لما تشتت منها. ثم يتأَمل ما قد سمحَ به طبعُه، ونتجته فكرتُه، فيبالغ في انتقاده، ويُبّدل اللفظ المستكره باللفظ السهل، وإنْ شغل قافيةً[5] في معنىً ما، ثم اتفق له معنى ٍيضادّ الأَول وكانت في المعنى الثاني، أَوقعَ منها في الأَول، عدل[6] إلى ما هو أَحسن، وأَبطل البيتَ، أو نقضَ بعضَه، وطلبَ لمعناه قافيةً تشاكله، وإذا أَسسَ شعره على الكلام البدوي الفصيح لم

---

(١) في س : الفحل.

(٢) في س : ويحبب.

(٣) في س : واشتغل.

(٤) في س : اتفق

(٥) في س : فكرة..

(٦) في س : بدل.

يخلط فيه الألفاظ الوحشية النافرة.

ولستُ آمره بإجراء الشعر كلّه مجرًى واحداً، بل أَرى أنْ يقسِّم الأَلفاظ على رُتَب المعاني، فلا يكون غزلُه كافتخاره، ولا مديحه كوعيده، ولا هجاؤه كاستبطائه، ولا تعريضه كتصريحه، بل يُوفّي كلًّا حقه، ويُعطيه حظَّه، فيتلطف إذا تغزل، ويُفخّم إذا افتخر، نعم، ويجب أنْ يخاطب الملوك بما يستحقونه[1] من جليل المخاطبات، ويتوقّى حطَّها عن مراتبها، ولا يخلطها بالعامة، ويصل كلامه على تصرفه في فنونه، صلةً لطيفة. فيتخلص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى، ومن الشكوى إلى الاستماحة، ومن وصف الديار والآثار إلى وصف الفيافي والنوق، ومن الرعود والبروق، إلى وصف الرياض والرُوّاد، ومن وصف الظلمان والأَعيار[2]، إلى وصف الخيل والأسلحة ومن وصف المفاوز والفيافي، إلى وصف الطَّرَد والصيد، [ومن وصف الليل والنجوم][3]، إلى وصف المياه والموارد، والآل[4] والهواجر، [والحرابي والجنادب][5].

مشاكلة الأَلفاظ للمعاني:[6]

[وللمعاني ألفاظٌ تُشاكلها][7]، فتحسن فيها، وتقبح في غيرها.

---

(١) في س: يستحسنونه.

(٢) الظلمان: جمع ظليم وهو ذكر النعام.
والأعيار: جمع عير وهو حمار الوحش.

(٣) ساقطة من س.

(٤) الآل: السراب.

(٥) ساقطة من س. وكتب بدلها (والمجاهل إلى ما يشاكلها).

(٦) نقل المؤلف هذا الموضوع نقلاً حرفياً من عيار الشعر ٨ ـ ١٠، وهو مطابق لرواية ظ.

(٧) ساقطة من س.

فهي لها كالمعرض [للجارية الحسناء التي تزداد الحسن][1] في بعض المعارض دون بعض، فكم من معنىً حسنٍ قد شِين بمعرضه الذي أبرز فيه[2]. وكم من معرض حسن قد ابتُذِلَ في معنى قبيح ألبسه[3] والمحنةُ على شعراء زماننا أشدُّ منها على من كان قبلهم، لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع، ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة وخلابة ساحرة، فإنْ أتوا بما يَقصُر عن معاني من تقدم لم يُتلق بالقبول، وكان كالمُطَّرح المملول[4].

وينبغي للشاعر في عصرنا أنْ لا يظهر شعره إلَّا بعد ثقته بجودته ورشاقته وسلامته من العيوب التي نُبِّهَ عليها، ونُهِيَ عن استعمال نظائرها، فليس يُقتدى بالمسيء وإنما الاقتداء بالمُحسن[5].

دواعي الشعر: [6]

وللشعر دواعٍ، تحثّ البطيءَ، وتبعث المتكلف، منها الطمعُ

---

(١) ساقطة من س.

(٢) في س: قد قبحه بثوب من الألفاظ ألبس.

(٣) في س: وكم من لفظ حسن قد جاور لفظاً ينافره فأبلس.

(٤) في س: والمتقدمون سبقوا إلى كل معنى بديع وتكلموا بكل لفظ فصيح وربما جاء بعدهم محدث فاختار من تلك الألفاظ أفصحها ومن تلك المعاني أفخمها، وألف بين هذه وهذه أحسن تأليف وزانها بالتصريف والترصيف ففاق من تقدم بذلك إذا اختار له أحسن المسالك.

(٥) في س: وينبغي للشعراء في عصرنا أن لا يظهروا شعرهم إلا بعد الثقة بجودته والامتثال لما أُمِرَ فيه والانزجار عما نُهِيَ عنه.

(٦) انظر: عيون الأخبار ٢ / ١٨٤ والعمدة ١ / ١٢٣، ٢٠٦ والشعر والشعراء ١ / ٧٩ - ٨٠ وكلُّها موافقة لرواية ظ.

ومنها الخوفُ[1] ومنها الطربُ ومنها الغضب. وقال أحمد بن يوسف لأَبي يعقوب الخُريمي[2]: مدائحُك لمحمد بن منصور[3] أَشعرُ من مراثيك وأَجود، قال: كنا يومئذ نعمل على الرجاء، [ونحن][4] اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بونٌ بعيد.

ويقال: إنَّه لم يُستَدعَ شارد الشعر بمثل الماء الجاري، والشَرَف العالي، والمكان [الحالي أو][5] الخالي.

وقال عبد الملك لأَرْطاةَ بن سُهَيَّة[6]: هل تقول الآن شعراً؟ فقال: ما أشرب، ولا أطرب، ولا أغضب ولا أرغب، وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه[7].

وقيل للشَّنْفرى حين أُسِرَ: أَنشد[8]. فقالِ: الإنشاد على حين المسرة.

---

(١) في ظ : الشوق.
(٢) هو إسحاق بن حسّان، أعجمي، كان مولى لابن خُريم، شاعر محسن توفي سنة ٢١٤ هـ (الشعر والشعراء ٢ / ٨٥٣).
(٣) في س : لآل فلان، ومحمد بن منصور كاتب البرامكة المعروف بفتى العسكر.
(٤) ساقطة من س.
(٥) ساقطة من س.
(٦) أرطاة بن زفر المريّ. وسُهية أمّه، شاعر أموي كان شريفاً جواداً (الشعر والشعراء ٥٠٤).
(٧) في س : إنما كنت أقول: إذا شربت وإذا طربت وإذا رغبت وإذا غضبت والآن عدمت هذه، وإنما يكون الشعر بواحدة منها.
(٨) في س : حين قتل العلاة أنشدنا.

اختلاف الشعراء في الطبع:[1]

هذا والشعراء في الطبع[2] مختلفون، فمنهم من يسهل عليه المديح، ويعسُر عليه الهجاء، ومنهم من تتيسر عليه المراثي، ويتعذر[3] عليه الغزل. وكان الفرزدقُ زيرَ نساءٍ، وكان مع ذلك لا يجيد النسيب، وكان جرير عفيفاً وكان مع ذلك أحسن الناس غزلاً، وكان الفرزدق يقول: «ما أَحوجه مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره كما تَرَوْنَ»[4].

والشعر كالبحر، قد يُغاص فيه على الدُرر الثمينة النفيسة، ويُغاص فيه على الخرزات الخسيسة. ولذلك قال بعض من قدمنا ذكره[5] في شعر ذي الرمّة (إنَّه نقطُ عروس، وبعرُ ظباء)[6]. إيذاناً بأنَّه لا يستمر بديعُه، ولا تَطَّرد نُكَتُهُ[7].

ولو كان الشعرُ كلُّه مستمرَّ النظام، متساوي الأَقسام، لظهرَ الفضلُ، وعُرِفَ العجزُ، وسكت أهل النقص[8]. ولكنَّ الفاضل ينظم[9] الكلام الشريف، ثم يقرن به ما يُستحيى من مثله، فيقدّر

---

(١) انظر الشعر والشعراء ١ / ٩٤ ومنهاج البلغاء ٣٤٣.
(٢) في س : في الشعر.
(٣) في س : ويتعسر.
(٤) الشعر والشعراء ١ / ٩٤.
(٥) في س : قال بعضهم.
(٦) هذا رأي جرير في شعر ذي الرمّة (الشعر والشعراء ١ / ٩٤).
(٧) في س : ولا يروق جميعه.
(٨) في س : وبدا النقص.
(٩) في س : يتكلم الكلام.

الناقصُ أنَّه يجوز له أنْ يقول، لأَنَّه يساويه في رديئه إنْ قصَّر عنه في جيده. ثم تجيء نُقّادُ السوء فَيدسُّون المتوسط مع المبّرز، والسكيّت[١] مع المتوسط، فتشتبه الحالُ عَلى مَنْ لم يكن مُثرياً[٢] في بضاعته[٣].

الطبع والتكلف:[٤]

واعلم أنَّ مِلاكَ الأَمر، تركُ التكلف، واطّراح التعمّل، والاسترسال للطبع، وتجنب الحملَ عليه، والعنفَ به، ولستُ أعني بهذا كلَّ طبعٍ، بل المهذّبَ الذي قد صقله الأَدبُ. وشحذته الروايةُ، وجَلته الفطنةُ، وأُلهمَ الفصل بين الرديء والجيّد، وتَصوَّر أَمثلة الحسن والقبيح.

النقد والنُقّاد:

والنقدُ والعِيارُ غامضان، وهما صناعةٌ برأسها. وهي غير العلم بغريب الشعر ولُغاته، ومعانيه وإعرابه، وقوافيه وأوزانه، وهي ممتنعةٌ، إلاَّ على أهلها الذين صحّت طباعهم، وصفت قرائحهم، واتّقدت أَذهانهم، وأَفنوا أعمارهم في خدمتها. وفرغوا أنفسهم لتحصيلها، فحصلت لهم الرواية والدراية، وراضوا الكلام ومارسوا قول الشعر، وخدموا علمه، ولزموا أهله، ودُفِعوا إلى مضايقِه، وكشفوا عن

---

(١) هامش في ظ : آخر أفراس الحلبة.

(٢) في س : عريقاً.

(٣) في س : هذه الصناعة.

(٤) هذا الموضوع ساقط برمّته من س.

حقائقه[1] ولاقوْا فيه[2] فرسانه وأُمراءه، وميَّلُوا حروف الألفاظ وقابلوا صنوف المعاني[3].

الخـــاتمـــة : [4]

وهذه الرسالة تقتضي الإقناع، ولا تحتمل الإشباع. وإنَّما نبذتُ إليكَ نُبذاً، وعرضتُ عليكَ لُمَعاً، حتى لا تحكم من غير تثبّتٍ ولا تقضي من غير تبيّنٍ، ولست أقولُ: النُبذ واللُمَع تصغيراً لها، بل تنبيهاً على قلة لفظها، فأمَّا المعنى المراد فإني أظنُّ أنَّها بلَغَتْهُ في صنعة الشعر، إذا استكشفها رائدٌ هذا العِلم وطالبُه، فوصلَ بمطالِعِها نظرَه، واستخدم فيها فكرَه، وردتْ به على قَليبٍ[5] سَهل المشرع، عَذْب المكرع، وكانت له مادة يستمدّها، وأَمَّا ما يحتذى سبيله، فإنْ أيدَهُ الطبعُ،ونَصَرَه الخاطرُ، وأسعدته الهمةُ، تقدَّمَ أضرابَه بحول الله وقوته وفضله ورأفته، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين.

* * *

(١) هامش في ظ (حذف في رسائل البلغاء ٤٦٨) وأنا أقول وتسلقوا على شواهقه.

(٢) هامش في ظ (حذف في رسائل البلغاء ٤٦٨) وأنا أقول: لاقوا فيه معانيه الساحرة، لا قَوَافِيه الظاهرة، ونظروا طائله لا قائله، واقتدوا بأساليب بنائه ولم يتقيدوا بقوالب عيانه حتى يكون فارس مضماره في إظهار مطلبه وإضماره، فافهم.

(٣) هذا الموضوع ساقط من س أيضاً.

(٤) الخاتمة في س : وأعلم أن هذه الرسالة يستفيدها صاحب العلم الذي قد صقله الأدب وشحذته الرواية وأضاءت له الفطنة، وفيها الإقناع إذ لا تحتمل الإشباع، وإنما ذكرتُ نُبذاً وذكرت فلذاً، ولستأقوال:إنَّها قاصرة عن المراد، فإني بلغت بها السداد، والله ولي التوفيق، فله الحمد والشكر الذي يليق وصلواته على محمد وآله هداة الطريق.

(٥) قليب : بئر.

آخر نسخة الظاهرية:

تمَّ على أَنامل أضعف عباد الله تعالى وأحوجهم إلى النعيم عبد الله بن فضل الله بن أبي نعيم[1]، أصلح الله شأنه، في الأوائل من شوال سنة أربعٍ وستمائة بمقام يوزاغج[2].

* * *

آخر نسخة السماوي:

فرغَ من استنساخها لنفسه أقلُّ الأَنام ذو المساوي محمد بن الشيخ طاهر السماوي[3] في الكرخ على نسخة سقيمة قديمة في أوائل محرّمٍ سنة ألف وثلثمائة وإحدى وخمسين حامداً مصلياً مسلماً.

---

(١) لم أعرفه.

(٢) لم أجد لهذا المكان ذكراً في كتب البلدان وكتب الزيارات.

(٣) الشيخ محمد بن طاهر السماوي، شاعر أديب ولد ونشأ بالسماوة وتعلم بالنجف وأقام ببغداد واشتغل قاضياً وله شعر في الغزل والاخوانيات وله كتب في شعراء الشيعة ومدح النبي (ص) وآله، وقد نسخ كثيراً من كتب التراث وحفظها من الضياع، وتوفي سنة ١٩٥٠ (انظر الأعلام ٧ / ٤٣ والأدب العصري ٢ / ١٥١).

المصـــادر

الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
الاختيارين	الأخفش الأصغر	تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دمشق ١٩٧٤
الأشباه والنظائر	الخالديان محمد وسعيد	تحقيق الدكتور سيد محمد يوسف، مصر١٩٦٥
الأعلام	خير الدين الزركلي	الطبعة الثانية
الأقصى القريب	زين الدين التنوخي	مصر ١٣٢٧
أمالي المرتضى	الشريف المرتضى	تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم مصـــر ١٩٥٤
الإمامة والسياسة	ابن قتيبة الدينوري	تحقيق الدكتور طه الزيني مصـــر ١٩٦٧
أنوار الربيع	ابن معصوم المدني	تحقيق شاكر هادي شكر النجف ١٩٦٩
البديـــع	ابن المعتز	تحقيق كراتسقوفسكي طبعة مكتبة المثنى بالأوفست
البديع في نقدالشعر	أسامة بن منقذ	تحقيق أحمد أحمد بدوي مصـــر ١٩٦٠
البصائر والذخائر	أبو حيان التوحيدي	تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني دمشق ١٩٦٤
البيان والتبيين	أبو عثمان الجاحظ	تحقيق عبد السلام هارون مصـــر ١٩٦٨
التبيان في علم البيان	ابن الزملكاني	تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ، بغداد ١٩٦٤
تحرير التحبير	ابن أبي الإصبع المصري	تحقيق الدكتور حفني محمد شرف مصـــر ١٣٨٣

التشبيهات ابن أبي عون تحقيق محمد عبد المعين خان كمبردج ١٩٥٠

التوضيح والبيان عن شعرنابغة بني شيبان مصر ـ مطبعة السعادة

الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لضياء الدين ابن الأثير الجزري تحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد بغداد ١٩٥٦

جمهرة الأمثال أبو هلال العسكري تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش مصـــر ١٩٦٤

جواهر الألفاظ قدامة بن جعفر تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصـر ١٩٣٢

حدائق السحر في دقائق الشعر رشيد الدين الوطواط تحقيق الدكتور إبراهيم الشواربي مصـــر ١٩٤٥

حسـن التوسل شهاب الدين الحلبي تحقيق أكرم عثمان يوسف بغداد ١٩٨٠

حلية المحاضرة أبو علي الحاتمي تحقيق الدكتور جعفر الكتاني، بغداد ١٩٧٩

خزانة الأدب ابن حجة الحموي بيروت ـ دار القاموس الحديث

دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمد رشيد رضا، مصر

ديوان أبي تمام بشرح التبريزي تحقيق محمد عبده عزام مصر ١٩٦٤

ديوان أبي نواس تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي بيروت، دار الكتاب العربي

ديوان الأعشى بيروت دار صادر ١٩٦٦

ديوان أوس بن حجر تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم بيروت ١٩٦٠

ديوان البحتري تحقيق حسن كامل الصيرفي مصر ١٩٦٣

ديوان بشاربن برد تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مصر ١٩٥٠

ديوان تميم بن مقبل تحقيق الدكتور عزة حسن دمشق ١٩٦٢

ديوان حاتم الطائي تحقيق كرم البستاني بيروت ١٩٥٣

ديوان الحطيئة بيروت، دار صادر ١٩٦٧

ديوان حميد بن ثور الهلالي تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني مصر ١٩٥١

ديوان الخنساء بيروت ١٩٦٠

ديوان دعبل بن علي تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم بيروت ١٩٦٢

ديوان ذي الرمّة تحقيق كارليل هنري مكارتني كمبردج ١٩١٩

ديوان سحيم تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني مصر ١٩٦٥

ديوان السموءل تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين بغداد ١٩٥٥

ديوان الشمّاخ بن ضرار شرح أحمد الأمين الشنقيطي مصر ١٣٢٧

ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري تحقيق درّية الخطيب ولطفي الصقال دمشق ١٩٧٥

ديوان العرجي تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي بغداد ١٩٥٦

ديوان علي بن جبلة العكوك تحقيق زكي ذاكر العاني بغداد ١٩٧١

ديوان عمرو بن قميئة تحقيق خليل ابراهيم العطية بغداد

ديوان عمرو بن معد يكرب تحقيق هاشم الطعان بغداد ١٩٧٠

ديوان الفرزدق بيروت دار صادر ١٩٦٦

ديوان القطامي تحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب بيروت ١٩٦٠

ديوان قيس ابن الخطيم تحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب بغداد ١٩٦٢

ديوان كثيّر بن عبد الرحمن تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت ١٩٧١

ديوان لبيد بن ربيعة	شرح ابراهيم جزيني	بيروت ـ دار القاموس الحديث
ديوان المعاني	أبو هلال العسكري	مصر ١٣٥٢
سر الفصاحة	ابن سنان الخفاجي	تحقيق علي فوده مصر ١٩٣٢
سيرة عمر بن عبد العزيز	أبو الفرج ابن الجوزي	تحقيق محب الدين الخطيب مصر ١٣٣١
شرح أشعار الهذليين	أبو سعيد السكّري	تحقيق عبد الستار فرّاج مصر ـ مطبعة المدني
شرح ديوان الأخطل	تحقيق ايليا الحاوي	بيروت ـ دار الثقافة
شرح ديوان امرىء القيس	تحقيق حسن السندوبي	مصر مطبعة الاستقامة
شرح ديوان جرير	تحقيق محمد إسماعيل الصاوي	بيروت ـ دار الأندلس
شرح ديوان حسّان	تحقيق عبدالرحمن البرقوقي	مصر ١٩٢٩
شرح ديوان زهير	أبو العباس ثعلب	مصر ١٩٦٤
شرح ديوان صريع الغواني	تحقيق الدكتور سامي الدهان	مصر ١٩٧٠
شرح ديوان عبيد بن الأبرص		بيروت ١٩٥٨
شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة	تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد	مصر ١٩٦٥
شرح ديوان عنترة	تحقيق عبد المنعم شلبي	مصر ـ المكتبة التجارية الكبرى
شرح ديوان كعب بن زهير	أبو سعيد السكّري	مصر ١٩٥٠
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات	أبو بكر الأنباري	تحقيق عبد السلام هارون مصر ١٩٦٣
شرح مقامات الحريري	أبو العباس الشريشي	تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي مصر ١٩٥٢
الشعر والشعراء	ابن قتيبة الدينوري	تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر مصر ١٩٦٦
شعر أبي حيّة النميري	تحقيق الدكتور يحيى الجبوري	بغداد ١٩٧٥

شعر تأبط شرا	تحقيق سلمان القرغولي وجبار تعبان	النجف ١٩٧٣
شعر ربيعة بن مقروم	صنعة الدكتور نوري القيسي	مجلة كلية الآداب - بغداد ١٩٦٨
شعر طفيل بن عوف الغنوي	تحقيق كرنكو	لندن ١٩٢٧
شعر عبدالله بن الزبير الأسدي	تحقيق الدكتور يحيى الجبوري	بغداد ١٩٧٤
شعر النابغة الجعدي	تحقيق عبد العزيز رباح	دمشق ١٩٦٤
شعر نصيب بن رباح	تحقيق الدكتور داود سلوم	بغداد ١٩٦٨
شعر النمر بن تولب	صنعة الدكتور نوري القيسي	بغداد ١٩٦٩
شعر يزيد بن الطثرية	صنعة حاتم الضامن	بغداد ١٩٧٣
شعراء أمويون	الدكتور نوري القيسي	الموصل ١٩٧٦
صبح الأعشى	أبو العباس القلقشندي	مصر ١٩٦٣
صفة الصفوة	أبو الفرج ابن الجوزي	تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس، حلب ١٩٧٣
الصناعتين	أبو هلال العسكري	تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم مصر ١٩٧١
الطرائف الأدبية	عبد العزيز الميمني	مصر ١٩٣٧
الطراز	يحيى بن حمزة العلوي	طهران مؤسسة النصر
طبقات الشعراء	ابن المعتز	تحقيق عبد الستار فراج مصر - دار المعارف
العقد الفريد	ابن عبد ربه الأندلسي	تحقيق أحمد أمين وجماعته مصر ١٩٦٥
العمدة	ابن رشيق القيرواني	تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصر ١٩٦٤
عيار الشعر	ابن طباطبا العلوي	تحقيق الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام. مصر ١٩٥٦

عيون الأخبار	ابن قتيبة الدينوري	مصر ١٩٦٣
الفاضل في صفة الأدب الكامل	محمد بن أحمد الوشّاء	تحقيق يوسف يعقوب مسكوني، بغداد ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦
الفرج بعد الشدة	القاضي التنوخي	مصر ١٩٥٥
الفهرست	ابن النديم	بيروت / مكتبة خياط
لباب الآداب	أسامة بن منقذ	تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر مصر ١٩٣٥
المثل السائر	ابن الأثير	تحقيق الدكتورين أحمد الحوفي وبدوي طبانة مصر ١٩٥٩
المحاسن والأضداد	منسوب للجاحظ	مصر ١٣٢٤
محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهاني	بيروت ١٩٦١
مروان بن أبي حفصة	قحطان رشيد التميمي	النجف ١٩٧٢
المصون في الأدب	أبو أحمد العسكري	تحقيق عبد السلام هارون مصر ١٩٦٠
المعاني الكبير	ابن قتيبة الدينوري	حيدر آباد ١٩٤٩
معجم الشعراء	المرزباني	تحقيق عبد الستار فراج مصر ١٩٦٠
مفاتيح العلوم	أبو عبد الله الخوارزمي	مصر ١٣٤٢
المفضليات	المفضّل الضبيّ	تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ـ مصر ١٩٦٤
منهاج البلغاء	حازم القرطاجني	تحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة تونس ١٩٦٦
المؤتلف والمختلف	الآمدي	تحقيق عبد الستار فراج مصر ١٩٦١
الموشح	المرزباني	مصر ١٣٤٣
نقد الشعر	قدامة بن جعفر	تحقيق كمال مصطفى مصر ١٩٦٣
نهاية الأرب	شهاب الدين النويري	مصر ١٩٢٦
نهج البلاغة	الشريف الرضي وشرح الإمام محمد عبده	تحقيق محمد أحمد عاشور ومحمد ابراهيم البنا، مصر، مطابع الشعب.

الوزراء والكتّاب	أبو عبد الله الجهشياري	تحقيق مصطفى السقا وجماعته، مصر ١٩٣٨
الوساطة بين المتنبي وخصومه	القاضي الجرجاني	تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي مصـــر ١٩٦٦

فهرسُ المَوضوعَات

فهرست الموضوعات

تطلب جميع منشوراتنا من :

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف : ٨١٥١١٢-٣١٩٠٣٩ - ص.ب : ٧٤٦٠ - برقياً : بيوشران